ملحق

الثقافة الجديدة

لوُ تنغ – يي

لتتفتح الأزهار

ترجمة

ناظم توفيق وسعدي يوسف

ملحق الثقافة الجديدة

يصدر عن مجلة

الثقافة الجديدة

مجلة شهرية ثقافية عامة

صاحب الامتياز: عبد الرحيم شريف المحامي

رئيس التحرير: الدكتور صلاح خالص

مدير الادارة: عدنان الحافظ

المحاسب: الفريد سمعان

العنوان: عمارة شاشا – شارع المتنبي – بغداد العراق

تلفون: 88260

مسجلة بدائرة البريد برقم (70)

لتتفتح الأزهار متنوعة

ولتتنافس مدارس الفكر المتنوعة

في سياسة الأدب والفن والعلم في الصين الجديدة

بقلم

لوُ تنغ – يي

ترجمة

ناظم توفيق وسعدي يوسف

مع ثمانية ملاحق صدرت في مجلتي (الأدب الصيني)

و (الصين تبنى من جديد)

اشترك في ترجمتها:

جليل كمال الدين

قاسم أحمد العباس

ناظم توفيق

مطبعة العاني – بغداد

مقدمة

يتعلم الصينيون اليوم، لا من أصدقائهم فحسب، بل ومن أعدائهم أيضاً، فما أحرانا أن نتعلم ونستفيد من أصدقائنا الصينيين. لقد مضى الشعب الصيني، بعماله وفلاحيه ومثقفيه وشرفائه، في بناء حياته الجديدة، بعد أن مر في طريق صعبة طويلة من النضالات والمعارك الداخلية والخارجية.

والآن تزدهر الحياة في الصين في ظل الاشتراكية النامية، وتتفتح مئات الزهرات طرية بضة ... فلنتعرف على هذه الزهرات الطيبة ... ونحن في بدء نهوضنا الشامل بعد أن تخلصنا من الإستعمار وأعوانه، وصار الباب مفتوحاً رحباً أمامنا. ولنطل على العالم الطيب المتقدم بعد أن حُجِزنا في أسوار من الضغط والإرهاب والتزييف والكذب ...

وستكون لنا بعد حين زهراتنا الرائعة ... وشعبنا يحفل بالخصب والبذور الطيبة ... وإن لنا لأملاً كبيراً في شعبنا العامل العظيم ...

«ناظم»

خطاب لوُ تنغ – يي

دعـاني السـيد كيوموجـو، رئيس أكاديميـة العلـوم، ومـدير إتحـاد عمـوم الصـين لحلقـات الأدب والفن، دعـاني لأتحـدث حـول سياسـة الحـزب الشـيوعي الصـيني في عمل الفنانين والكتاب والعلماء.

إننا نقول للكتاب: (لتتفتح الأزهار متنوعة ...) ونقول للعلماء: (لتتنافس مدارس الفكـر المختلفة)، هـذه هي سياسـة الحـزب الشـيوعي الصـيني وقـد أعلنهـا الـرئيس ماوتسي تونغ في مجلس الدولة الأعلى.

وقد حصلنا بتطبيق هذه السياسة على بعض الخِبَر، لكنها لا تزال حتى الآن قليلـة جداً، زد على ذلك ان ما سأقوله اليوم إنما هـو فهمي الخـاص لهـذه السياسـة فحسب. أنتم هنا علماء متخصصون في العلوم الطبيعية والإجتماعية، أطباء وكتاب وفنانون، منكم أعضاء في الحزب الشيوعي، ومنكم أصدقاء من أحزاب ديمقراطيـة، والبـاقون أصدقاء غير حزبيين، وسترون جميعاً كم هي مهمة هذه السياسة لتقـدم وتطـور الفن والأدب الصـيني والبحـوث العلميـة أيضـاً، هـذه المجـالات الـتي قـد إرتبطتم بهـا أنتم أنفسـكم. لـذا أرجـو ألا تـترددوا في إصـلاح خطـأي إذا رأيتم انـني مخطئ في أيـة ملاحظة، ثم نستطيع جميعاً أن نسهم في إنجاح القضية العامة.

1 – دواعي هذه السياسة وسبب تأكيدنا عليها

إذا رغبنـا لبلادنـا أن تكـون متقدمـة وقويـة فيجب أن يكـون لنـا فن وأدب وعلم مزدهر، بالإضافة الى تقوية كيان الدولة الشعبية وتطوير إقتصـادنا وثقافتنـا، وتقويـة دفاعنا الوطني. وإذا أردنا فناً وأدبـاً وعلمـاً مزدهـراً فعلينـا أن نطبـق سياسـة (لتتفتح الأزهار متنوعةً ولتتنافس مدارس الفكر المختلفة)، ولن يزدهـر الأدب والفن أبـداً إذا تفتحت زهرة واحدة على إنفراد مهما كانت جميلة هذه الزهرة وخير مثال على ذلـك المسرح، وهو ما يتبـادر الى الـذهن في هـذه الأيـام، فقبـل سـنوات قليلـة كـان النـاس يبـدون العـداء لأوپرا پكين. ثم صـمم الحـزب على تطـبيق سياسـة تتلخص في هـذه الكلمات: (لتتفتح الأزهار متنوعة وجنباً لجنب، أزيلوا شوائب القـديم لينشـط الجديد).

ويستطيع كل فرد أن يرى كم كان مجدياً أن نطبق هذه السياسة والنتائج الملحوظة التي أدت إليها، فشكراً للمنافسة الحرة فقد تقدم مسرحنا تقدماً سريعاً نظراً للإستفادة المجنية من أنواع التمثيليات كافة التي أخذت تتعلم وتستفيد من بعضها.

وفي ميدان العلم عندنا تجربة تاريخية نهتدي بها، فخلال مرحلة أحداث الربيع والخريف (722 – 481 ق. م) وفي عهد الدول المتحاربة (403 – 221 ق. م)، أي قبل أكثر من ألفي سنة تنافست عدة مدارس فكرية مع بعضها من أجل التفوق والإمتياز. لقد كان ذلك عهداً ذهبياً في التطور الفكري الصيني.

لقد كان ذلك عهداً ذهبياً في التطور الفكري الصيني.

ويعلمنا التاريخ ان الحياة العلمية تأسن بغير التفكير المستقل والمنافسة الحرة، وعلى العكس إذا شُجِّعَ التفكير المستقل والمنافسة الحرة فأن النمو الأكاديمي يسرع أكثر فأكثر، ومن البديهي إن حالة القضايا التي وجدت في تلك العهود القديمة كانت تختلف كثيراً عن حالة القضايا في عهد الصين الحاضرة. كان المجتمع مضطرباً في ذلك العهد وكانت المدارس الفكرية المختلفة تتنافس فيما بينها وتبث آراءها في شكل عفوي، بدون أي نوع من من أنواع القيادة الواعية المنظمة. أما الآن فقد كسبت الجماهير عالم الحرية وأقيمت دكتاتورية الشعب الديمقراطية وثبتت، وهناك مطلب عام على عدم السماح لأي شيء أن يعيق سير العلم الى الأمام، ولأجل هذا نحن نخطط بوعي خطة عامة جامعة للتطور العلمي ونتبنى سياسة السماح لمختلف المدارس الفكرية بالتنافس لتمنح النشاط للنمو الأكاديمي.

ولا يخطئ أحد في ملاحظة ان الفن والأدب والعلم في المجتمعات الطبقية هي في التحليل الأخير أسلحة في الصراع الطبقي وهو واضح تماماً بالنسبة الى الفن والأدب إذ نستطيع أن نرى أشياء مضرة بشكل صريح في حقلهما مثل الهراء الذي كتبه هوفنغ[1]، والأدب النتن القذر الذي يُفَسِّخ الجماهير ويحولهم الى قتلة وما يشبه والأدب الذي يتلخص في عبارات مثل: (دعنا نرقص الماه – كونغ ولتذهب الى

1 - هوفنغ من أعداء الثورة تستر خلال أكثر من عشرين عاماً بلباس الكاتب الماركسي – اللينيني، وقام بأنواع من النشاط الهدام في الأدب التقدمي الصيني وفي عام 1955 أميط اللثام عن نشاطه ونشاط زمرته.

الجحيم قضايا السياسة) أو «القمر في أمريكا أكثر إستدارة من القمر في الصين» ... الخ، ويحق لنا تماماً بل هو شيء واجب بالنسبة الينا أن ننظر الى أدب بهذا التفسخ والإنحلال نظرتنا الى الذباب[2] والبعوض والفئران والغربان ونُخَلِّص أنفسنا منه. وبعملنا هذا لا نسيء الى أدبنا بل نفيده، ولذلك نقول ان هناك أدباً وفناً يخدم العمال والفلاحين والجنود، الأدب والفن الذي يخدم الشعب.

وجود الصراع الطبقي واضح أيضاً في الفلسفة والعلوم الإجتماعية، وتقترن آراء هو – شيه[3] في الفلسفة والتاريخ والتربية والسياسة بكراهية عامة، ونبذ آرائه هو إنعكاس للصراع الطبقي في مجال العلوم الإجتماعية. ونحن محقون تماماً في فضحها جميعاً. ونحن محقون أيضاً في إتهام وفضح أفكار السيد ليانغ سومينغ[4].

---

2 - الذباب والبعوض والفئران والغربان تعتبر «الشياطين الأربعة» في الصين، لأنها تحمل الأمراض والأوبئة التي تتلف المحاصيل والغذاء.

3 - في سنة 1917 إشترك هوشيه «المولود عام 1891» في الحركة العاملة من أجل ثقافة جديدة بصفة مدافع عن تبديل اللغة الأدبية الكلاسيكية بلغة التخاطب. وقد تقدمت فيما بعد الحركة الثقافية بحركة الرابع من أيار 1919 وأخذت الأفكار الماركسية اللينينية تنتشر بين الناس فتحول هوشيه الى جانب الإستعماريين وبرجوازية (الكومبرادور) [الكومبرادور وكلاء رأس المال الأجنبي – المترجم] كخصم للاشتراكية والعمل الثوري. لقد كان مدافعاً مسعوراً عن فلسفة البراكماتزم في شكلها الأكثر رجعية وذاتية ومثالية. وقاده هذا الى مساندة نظريات الكومينتانغ الديماغوجية في الإصلاح الجزئي وكل فلسفة الفردية البرجوازية. وسياسياً كان سنداً لحكم لوردات الحرب ومقاوماً للثوريين الذين قادهم صن – يات – صن. وبعد أن خان شيانغ – كاي – شيك الثورة في عام 1927 برز هوشيه كمساند لحكم شيانغ – كاي – شيك الدكتاتوري في الوطن والمستسلم للإستعماريين. ومن ذلك الحين وحتى اليوم هو عدو للحزب الشيوعي وللثورة الشعبية ومن الطفيليين المخلصين للمستعمِرين.

4 - في فترة حركة الرابع من أيار 1919 عارض ليانغ سو – مينغ النضال من أجل ثقافة جديدة ودافع عن صيانة الثقافة الإقطاعية القديمة مع بعض الإصلاحات الطفيفة وروج فيما بعد «حركة البناء الفوقي» التي كان غرضها – كما قال ليانغ نفسه – مقاومة الحركة الفلاحية بقيادة الحزب الشيوعي وكان ينكر وجود أية طبقة مُستَغَلَّة في الصين، ودافع عن التعاون بين الفلاحين وملّاكي الأرض وعن تأسيس قوى مسلحة من قبل الملّاك أنفسهم لحماية النظام القديم وإنشاء مدارس للفلاحين بغية تخديرهم بالأفكار الإقطاعية، وكلعبة بيد الأستعماريين قاوم التصنيع ورغب في أن تبقى الصين بلداً زراعياً. وبعد التحرير قدم عونه للحكومة الشعبية وصار عضواً في اللجنة الوطنية للمؤتمر السياسي الإستشاري الشعبي الصيني. ومن الطبيعي أن يصيب أفكار ليانغ كثير من النقد.

وإننـا لعلى صـواب في نقـد مـدارس الفلسـفة الأخـرى، مـدارس مثاليـة البورجوازيـة وعلم الإجتماع البورجوازي.

والآن، دعونا نلاحظ كيف تقوم الأمور في حقل العلم الطبيعي، فلكل عالم نظرته السياسية ول أنه لا صفة طبقية للعلم الطبيعي نفسه. وقد قـدَّس الولايـات المتحـدة في البداية بعض المتخصصين في العلوم الطبيعية بشكل أعمى، بينما عزم آخـرون على أن يكونـوا مجـردين من السياسة. وانــه لمن الصــواب والــواجب أن ننقـد كـل هـذه الأشياء غير المرغوب فيها، ونقدنا هذا هو إنعكاس للصراع الطبقي.

ويجب ألا نخطئ في ملاحظة ان الفن والأدب والبحث العلمي ليسـت – بعـد كـل إعتبـار – كالسياسـة بـالرغم من انهـا وثيقـة الصـلة بالصـراع الطبقي. فالصـراع السياسي هو شـكل مباشـر للصـراع الطبقي، بينمـا الفن والأدب والعلـوم الإجتماعيـة تعبر عن الصراع الطبقي بطريقة مباشرة أحياناً، وغير مباشرة أحياناً أخرى. وانهـا لطريقة يمينية أحادية الجانب في النظـر الى الأشـياء الإدعـاء ان الفن والأدب والعلم منفصـلة عن السياسـة وان «الفن هـو للفن نفسه» و «العلم هـو للعلم نفسه»، وهي ملاحظة جديرة بالفهم. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هي طريقـة يسـارية أحاديـة الجانب أن نبسِّط الأشـياء إعتباطـاً فنسـوي الفن والأدب والعلم بالسياسة. والنظرتـان كلتاهما على مستوى واحد من الخطأ[5].

«أن ندع الأزهار المتنوعة تتفتح، ومـدارس الفكـر المختلفـة تتنـافس» يعـني اننـا ندافع عن حرية التفكير المستقل والمجادلة والعمل الإبداعي. وحرية النقد مـع حريـة التعبير تؤيد وتحفظ آراء الناس في قضايا الفن والأدب والبحث العلمي.

لكن الحريــة الــتي نتمسـك بهـا تختلـف عن الحريــة الــتي تعتمـد على نـوع من الديمقراطية تحميه البرجوازية. إن الحرية التي تحميها البرجوازية تعني في الحقيقـة الحرية للأقلية فحسب، بينما لا يكون للشغيلة إلا قسط ضئيل من الحرية، أو لا حرية على الإطلاق. إن البرجوازية تستخدم الدكتاتوريـة ضـد الشـغيلة. والإحتكـاريون في أمريكا يجأرون بإسم «العالم الحر» العالم الذي يمتلك فيه الإحتكـاريون والرجعيـون

5 - راجع الملحق «أ».

كل الحرية وكل أنواع وكل أنواع الحرية بينما يُدفَع الى الموت الزوجان روزنبرغ لأنهما دافعا عن السلام. لكننا على العكس نتمسك بوجوب إنتشار الحريات الديمقراطية بين الشعب، كل الشعب، إلا اننا لن نمد بالحرية الى أعداء الثورة فليس عندنا لهم سوى الدكتاتورية. هذه هي قضية رسم الخط السياسي الفاصل ... الخط السياسي الواضح الذي يميز الأصدقاء من الأعداء.

«لتتفتح الأزهار متنوعة، ولتتنافس مدارس الفكر المختلفة»، ذلك يعني الحرية للشعب، ونحن نؤكد ان هذه الحرية تتوسع كلما تثبتت بشكل متقدم قوة الشعب السياسية.

وبين الشعب كثير من نقاط الإتفاق ونقاط الإختلاف، فلبلادنا دستور والشعب متفق على المحافظة على هذا الدستور وهذا واجب عام، ذلك يعني أنه متفق فيما بينه على وجوب حب بلاده ومؤازرة الاشتراكية. ولكن هناك قضايا أخرى لا يتفق الشعب فيما بينه عليها. في الأيديولوجية هناك الخلاف بين المادية والمثالية، وهو خلاف في النظرة العامة موجود مع وجود الطبقات وسيبقى موجوداً في الوقت الذي تزول فيه الطبقات، أي في المجتمع الشيوعي. وعندما تكون الطبقات موجودة يتخذ التناقض بين المادية والمثالية مظهر التناقض بين الطبقات، وبعد زوال الطبقات سيستمر هذا التناقض بين المادية والمثالية حتى في المجتمعات الاشتراكية والشيوعية ما دام هناك تناقض بين الذاتي والموضوعي، بين المتقدم والرجعي «الباقي والمنحل»، بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج في المجتمع. إن التناقض بين المادية والمثالية سيمتد طويلاً ... انه صراع مديد.

وأعضاء الحزب الشيوعي هم ماديون ديالكتيكيون، ونحن الشيوعيين مع المادية ضد المثالية، ولا شيء يمكن أن يغير ذلك. لكننا، لكوننا ديالكتيكيون حقاً ونفهم القوانين التي تتحكم في تطور المجتمع، فإننا نتمسك بوجوب التمييز الدقيق بين معركة الأفكار السائدة عند الشعب وبين المعركة ضد أعداء الثورة. بين الشعب هناك الحرية لنشر وإذاعة المادية، ونشر وإذاعة المثالية أيضاً. وكل شخص هو حر في شرح وتفسير المادية أو المثالية فقط على ألا يكون من أعداء الثورة. وهناك

حريـة المناقشـة بين الإتجـاهين أيضـاً وهـذا هـو الصـراع بين الأفكـار المتنازعـة المنتشرة بين الشعب إلا انه يختلف تماماً عن النضـال ضـد أعـداء الثـورة. فيجب أن نمنع ونضع حداً لفعاليات أعداء الثـورة، ويجب أن نثـير أيضـاً نضـالاً ضـد الطـرق الرجعية والمثالية في التفكير بين الشعب، وهذا النضال مع كونه نضـالاً حـاداً أيضـاً إلا اننا نقوم به مع العناية بتقوية الوحدة وحسم التخلف وخلق وحدة أكثر تماسـكاً بين الشعب. أما بالنسبة للقضايا الفكريـة فـإن الإجـراءات الإداريـة لا تأخـذ بيدنا الى أي مكـان، فنحن لا نسـتطيع قهـر المثاليـة إلا عن طريـق الجـدل المفتـوح وبصـورة تدريجية.

وستكون هناك أفكار مختلفة أيضـاً حـول قضـايا ذات طبيعـة فنيـة أو أكاديميـة أو تكنولوجية خالصة، وهذا أمر طبيعي تماماً.

وفي قضايا من هذا النوع هناك حرية إظهار مختلف الآراء ... حريـة النقـد ورد النقد وحرية المجادلة[6].

وبإختصار يجب أن يكون لنا الحرية السائدة بين الشعب في الـوقت الـذي نتمسـك بوجوب رسم خط سياسي واضـح بين الأصـدقاء وبين الأعـداء. أن «تتفتح الإزهـار متنوعة، وتتنافس مـدارس الفكـر المختلفة» هـو تعبـير عن تلـك الحريـة الشـعبية في الفن والأدب والعلم.

إن الظروف مواتية لهذه السياسة فدعونا نرى كيف تبرز الأشياء الآن.

اولاً وقبل كل شيء نحن رابحون نصراً نهائيا في كل شكل من أشكال العمـل من أجل التغيير الاشتراكي في الأجزاء المهمـة للبلاد، وفي هـذه المنـاطق سيقضـى بعـد سنوات قليلة على نظام إستغلال الإنسان للإنسان، وسَيوحَوَّل الإستغلاليون السـابقون جميعـاً الى أنـاس آمـنين يعيشـون بجهـد شـريف، وسـتغدو بلادنـا دولـة اشـتراكية لا طبقات مُستَغِلَّة فيها.

ثانياً، لقد أصاب نظرة المفكرين الصينيين السياسية تغيير أساسي، ولا يـزال هـذا التغيـير الجـوهري مسـتمراً. وقـد عـالج الرفيـق شـو إن لاي هـذه الناحيـة بشـيء من

---

6 - أنظر الملحق «ب».

الإسهاب في «تقرير حول قضية المثقفين». وبهذه المناسبة دعونا نستعد بإيجاز المعركة الأخيرة التي شاركنا فيها.

إنها معركة فكرية ضد المثالية البرجوازية، ويجب أن يُذكَر بالنسبة لأكثرية المثقفين انهم إهتموا بنفوسهم وحاسبوها وقد حققوا تقدما ملحوظاً.

لقد ركزت الدوائر الأكاديمية نيرانها الرئيسية في هذه المعركة على هو – شيه وهو – فنغ وهما عدوان للثورة. إنهما ليسا مثاليين ببساطة في إتجاههما. إنهما عدوان للثورة سياسياً. ونحن ننتقد أيضاً نظرات السيد ليانغ – سو – منغ الفلسفية والإجتماعية وننتقد الأفكار الفردية البرجوازية في الدوائر الفنية والأدبية. ويستطيع كل إنسان أن يرى الآن صواب إثارة هذه المعركة لأنها كانت ضرورية لتقديم قضية التحول الاشتراكي.

وفي خلال هذه المعركة أشارت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني الى إننا في حاجة الى النضال بإصرار ضد كل الأفكار التي قَمَعَت النقد والنقاش الأكاديميين. ومثل هذه الأفكار المضرة عبرت عن نفسها بطرق مختلفة عديدة. هناك عبادة «المنارات القائدة» للبرجوازيين الذين أعتُبِروا هيئة مصونة عن النقد.

وهناك إتجاه متعجرف متشامخ متصف بالبرجوازية نحو الماركسيين الشبان الذين حُجِزوا في الخلف. وبعض أعضاء الحزب، وقد أعتَبَروا أنفسهم متعالين كمسؤولين، كانوا لا يحتملون النقد، ولم يشاركوا في الإنتقاد الذاتي. والبعض الآخر من أعضاء الحزب كانوا خوفاً من «تحطيم الجبهة المتحدة» أو من «إيذاء الإتحاد» لا يتجرأون على نقد الآخرين. ولا يزال آخرون بسبب من الصداقة الشخصية أو رغبة في إنقاذ وجوههم لا ينتقدون أخطاء الآخرين، بل إنهم ليعملون على تغطيتها أيضاً.

وقد أوضحت اللجنة المركزية في الحزب أن لا إمتيازات خاصة لأي شخص بالنسبة الى النقد والنقاش الأكاديميين، وانه لمن الخطأ أن يضع أحد نفسه عالياً «كمرجع» فيقمع النقد أو يشيع عمى العيون عن الأفكار البرجوازية ليدع الأشياء هدفاً أو أداة لمثل هذه الأفكار الخاطئة.

وقد أشارت اللجنة المركزية أيضاً الى ان النقد والنقاش الأكاديميين يجب أن يقاما على أساس من التأمل السليم الأمين للحقائق. يجب أن نشجع المناقشة الجدية، المناقشة القائمة على أسس علمية، ويجب أن يكون النقد والمناقشة نتيجة الدراسة المثقفة، فلا محل هناك للمكاسب الفجة سهلة التناول، أو للمكاسب الخارقة. يجب أن نتقدم بواسطة المناقشة الحرة دون الإلتجاء الى إجراءات إدارية معينة، وسيُسمَح لكل شخص يُنتَقَد أن يرد الإنتقاد ويجيب عليه، ومثل هذا الرد لن يقمع، وسيُسمَح للأقلية التي تملك رأياً مخالفاً بأن تحتفظ به، فلا يسود هنا مبدأ خضوع الأقلية لمطالب الأكثرية. إن أولئك الذين يخطأون في مسائل البحث العلمي ولا يزالون نافرين حتى بعد النقد والمناقشة لا يجب عليهم كتابة مقالات وطبعها لتصحيح آرائهم، ففي الميدان الأكاديمي تبقى المناقشة مسموحاً بها اذا ظهرت إختلافات فكرية ذات حياة، حتى بعد التوصل الى رأي نهائي في أية مشكلة مثارة.

وتقول اللجنة المركزية أيضاً إننا في الوقت الذي ننتقد فيه الأفكار البرجوازية الخاطئة ونقود النقد والمناقشة في قضايا البحث العلمي يجب أن نرتكز على السياسات التي حددها الحزب ... سياسة التمسك بالجبهة الموحدة وسياسة توحيد وتمازج المثقفين ويجب أن نميز بين الذين يعتمدون على أفكار برجوازية خاطئة وبين الذين يتطلعون الى المادية وهم يحملون مثل هذه الأفكار الخاطئة، فيجب أن نقترب من هؤلاء الآخرين بمختلف الطرق. يجب أن نحقق تمييزاً واضحاً بين أولئك الذين هم أعداء الثورة سياسياً وبين الذين هم مخطئون في المجال الأكاديمي فقط. والباحثون الذين يحملون آراء برجوازية خاطئة في المجال الأكاديمي سيُعطَون وظائف مناسبة ما داموا غير مرتبطين بفعالية معادية للثورة. وإنه لمن واجبنا أن نلاحظ انهم قادرون على مواصلة أبحاثهم لمصلحة المجتمع، ويجب أن نحترم كل معرفة خاصة لديهم وهي مفيدة للمجتمع ونرى انها ممكنة الإفادة فندعها تمر لتكون في متناول شبابنا ويجب أن نشجعهم ليتخذوا دوراً فعالا في النقد والنقاش الأكاديميين حتى يستطيعوا إذابة نفوسهم في الموكب.

كل هذه التوصيات ساعدتنا على منازلة المثالية البرجوازية وتوجيه النقد في الدوائر العلمية الأكاديمية، من دون أن نسقط في أخطاء كثيرة. والآن ونحن نلقي نظرة على فعالياتنا الماضية نجد على العموم إننا قد فعلنا الشيء الصائب في مدى هذه المعركة، وإننا لم نقترف أخطاء سيئة من ناحية أخرى. إلا انه لا يزال هناك بعض الإنحرافات والأخطاء في الطريقة التي أنتُقِدَ بها السيد يو – بينغ – بو[7] مثلاً. فلا لوم على السيد يو في المجال السياسي. إن الأخطاء التي إرتكبها تنحصر في مجال الأدب فقط. وكان ضرورياً بالنسبة لنا أن ننتقده من الناحية الأكاديمية الأيديولوجية، وقد قامت كثير من المقالات التي كتبت عن السيد يو بهذا الدور بشكل حسن. إلا ان بعضها لم يكن بهذه الجودة، لم يكن مقنعاً تماماً، وكان مكفناً بلهجة مسئمة جداً. أما بالنسبة للإدعاء ان السيد يو «قد إحتكر إستعمال الكتب الصينية القديمة النادرة» فقد كان بلا أساس، وأنا أشعر بوجوب توضيح هذه النقطة.

لقد تحدثنا طويلاً عن الماضي فدعونا الآن نرى حالة الأشياء في الحاضر.

إن الموقف الآن يختلف تماماً فقبل سنة أو سنتين كانت لا تزال الأفكار البرجوازية تحتفظ برصيد كبير، ولم يكن يتردد الهوفنغيون في أن يقذفوا الى الميدان بهجمات فظيعة ضد الجبهة الأيديولوجية. وكان كثير من المثقفين لا يستطيعون تمييز المثالية عن المادية أو فهم مبلغ الأذى الذي تلحقه المثالية بقضية الاشتراكية، ولولا ذلك لإستطعنا الآن إنجاز تقدم هائل في دوائر المثقفين. وفي بعض المنظمات لم تنته الحملة ضد الأفكار الرجعية لكل من هو – فينغ وهو – شيه الى نتيجة معينة. ولا تزال عملية فضح أعداء الثورة المتسترين غير تامة. وفي مثل هذه المنظمات جميعاً يجب أن نمضي قدماً دون توقف في منتصف الطريق لأننا

7 - يو – بنغ – بو كاتب ماهر صار معروفاً جداً في فترة حركة الرابع من مايس وهو متخصص في الأدب الصيني الكلاسيكي، وفي خلال سنوات عديدة حقق دراسة عظيمة للرواية الكلاسيكية الشهيرة «حلم الغرفة الحمراء». وقد تأثَّرَ تأثُراً عميقاً بأفكار هو – شيه الخاطئة في دراسة الكلاسيكيات – وبعد إستسلام اليابانيين إلتحق يو بجمعية شوسان، وهي أحد أحزاب الصين الديمقراطية العديدة. وقد ساند حركة الطلاب الوطنية وقاوم حكم الكومينتانغ المتعفن. وهو الآن باحث زميل لمعهد الدراسات الأدبية في الأكاديمية الصينية للعلوم ونائب في مجلس الشعب الوطني.

بتوجيه الحملة بأستمرار نخلق الظروف المناسبة لكثير من الأشياء التي نرغب في إنجازها في المستقبل.

وأرى من اللازم التأكيد أكثر فأكثر ان 90% من الناس في هذه المنظمات هم إعتياديون ولائقون «بضمنهم أولئك الرجعيون قليلاً»، ويجب أن يدفعوا الى النضال العام ضد أعداء الثورة.

ثالثاً – لا يزال لنا أعداء، والصراع الطبقي لا يزال مستمراً في داخل البلاد. لكن أعداءنا، وبشكل خاص أعداؤنا في الداخل، قد قلعت أنيابهم.

من هم هؤلاء الأعداء؟ إننا نواجه في الخارج القوى الإستعمارية الإعتدائية وعلى رأسها العصابات الأمريكية، نواجه في الداخل شرذمة شيانغ كاي شك المنزوية في تايوان، وبعض شراذم أعداء الثورة الضالين، هؤلاء هم أعداؤنا، ويجب علينا أن نواصل نضالاً لا هوادة فيه ضدهم. يجب أن لا نرخي جهودنا وقوتنا.

رابعاً – إن الوحدة السياسية والفكرية للشعب قد قويت جداً ولا تزال تقوى أكثر فأكثر يوماً بعد يوم.

ولهذا الأسباب مجتمعة تؤكد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني سياسة ترك الأزهار تتفتح متعددة الأنواع، ومدارس الفكر المختلفة تتنافس فبواسطة هذه السياسة سندفع الى الميدان كل ما هو جديد ومفيد للمجتمع لتحقيق خدمة أفضل للشعب، وستحشد جهودنا لخلق فن وأدب مزدهرين، ولرفع عملنا العلمي الى المستوى الأفضل في العالم.

وتحت قيادة الحكومة باشر كثير من العلماء رسم خطة عمل لإثنتي عشرة سنة في العلوم الطبيعية. وخطط الإثنتي عشر سنة للفلسفة والعلوم الإجتماعية في طريقها الى الإنجاز. إنها لمهمة رائعة لعلمائنا أن يضعوا وإن يحققوا مثل هذه الخطط. وان إستخدام سياسة ترك مدارس الفكر المختلفة تتنافس لهو ضمانة لنجاح هذه المهمة ...

2 – تقوية الوحدة

لتتفتح الأزهار متنوعة، ولتتنافس مدارس الفكر المختلفة: تلك هي سياسة تعبة وحشد كل العناصر الفعالة. وهي لهذا السبب سياسة تقوية الوحدة في النهاية.

على أي الأسس يجب أن نتحد؟ – نتحد على أسس الوطنية والاشتراكية. ولماذا نتحد؟ – إننا نتحد لبناء صين اشتراكية جديدة، ولقهر أعدائنا في الداخل والخارج معاً.

هناك نوعان من الوحدة: أحدهما مبني على الطاعة الآلية، والآخر مبني على إرادتنا الحرة الواعية ... والذي نريده هو النوع الثاني.

هل كل المعنيين بالفن والأدب والعلم عندنا متحدون؟ نعم إنهم لكذلك، وتستطيعون أن تقارنوا الحالة يوم أوجِدَت الجمهورية الشعبية الصينية بالحالة التي نحن فيها الآن، وستجدون إننا نحقق وحدة أوثق بين الفنانين والكتاب والعلماء. لقد جاء هذا نتيجة عملنا من أجل الإصلاحات الإجتماعية والتغيرات في طرق تفكيرنا. وانه لمن الخطأ أن نرفض أو نتجاهل هذا. ومع ذلك نحن لا نستطيع القول بأن وحدتنا الآن هي نهاية ما يجب، فما زال هناك مجال للتحسين والتقدم.

في أي خصوص؟ ... حسناً، أولاً وقبل كل شيء، قد نسي بعض أعضاء الحزب الشيوعي تحذير الرفيق ماوتسي تونغ بشأن سيئات الإنعزالية فقد أدارت النجاحات رؤوس بعض الناس فأصابهم ضيق الأفق والإنعزال والتعصب. وقد قال الرفيق ماوتسي تونغ في خطابه (صححوا إسلوب عمل الحزب) الذي ألقاه في 1942 ما يلي:

«كثير من رفاقنا تمادوا في الأختيال على غير الحزبيين من الناس مستهزئين بهم ومحتقرين إياهم، وغير راغبين في أن يبدو لهم الإحترام أو يستحسنوا صفاتهم الجيدة. هذه بالتأكيد ميول إنعزالية. وهؤلاء الرفاق وقد قرأوا بعض الكتب الماركسية يصيرون متعجرفين بدلاً من أن يتواضعوا، ويعتبرون الباقين عادةً بلا فائدة، دون أن يعلموا انهم هم أنفسهم مبتدئون في الحقيقة، وجهلاء. فيجب على رفاقنا أن يدركوا حقيقة ان أعضاء الحزب هم دائماً أقلية بالنسبة الى غير الحزبيين

من الناس. ولنفترض ان هناك شيوعياً واحداً بين كل مئة صيني، فسيكون هناك 4500000 شيوعي بين أربعمائة وخمسين مليون صيني. وحتى لو وصل عدد الأعضاء الى مثل هذا الرقم فعلى أي أساس إذن نستطيع أن نرفض التعاون مع غير الحزبيين من الناس؟ أما بالنسبة الى أولئك الذين يريدون أو يقدرون بعد كل إحتمال، أن يتعاونوا معنا، فليس من واجبنا أن نتعامل معهم فقط، بل ليس لنا الحق مطلقاً أن نبعدهم ونباعدهم. لكن بعض أعضاء حزبنا، وهم جاهلون هذه الحقيقة، يحتقرون بل يبعدون أيضاً أولئك الذين يرغبون في العمل معنا. ولا سند هناك لعمل هذا أبداً. فهل أتاح لنا ماركس وأنجلس ولينين وستالين أي مجال لذلك؟ لا ... بل على العكس، قد حثونا بإخلاص على توثيق روابطنا مع الجماهير وعدم الإنعزال عنهم. وهل فسحت لنا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني أي مجال (للإنعزال)؟ لا، فليس هناك أي قرار بين كل مقرراتها يوحي بعزل نفوسنا عن الجماهير والوقوف وحدنا. وقد أشارت علينا اللجنة المركزية دائماً بعكس ذلك، على توثيق صلتنا بالجماهير وعدم الإنعزال عنها. وهكذا فأي نشاط يعزلنا عن الجماهير لا يسنده قانون على الإطلاق، وهو ببساطة تصرف خاطئ ناتج عن التفكير الإنعزالي لبعض الرفاق. فيجب أن نبدأ حملة تثقيفية بين صفوف الحزب لتصفية الإنعزالية، لأن خطرها ما زال كبيراً لدى بعض أعضاء حزبنا مما يعرقل تنفيذ خطط الحزب. ويجب أن نجعل كوادرنا تدرك أولاً وقبل كل شيء خطورة هذه المسألة وإستحالة قهر عدونا وتحقيق هدف الثورة إلا إذا إتحد الشيوعيون مع الكوادر غير الحزبية والشعب» (– مؤلفات ماوتسي تونغ. الجزء الرابع ص 42 – ص 43، لورنس ويشات – لندن 1956).

وكما يعرف الجميع أننا خضنا في السنوات القليلة الماضية سلسلة من المعارك في الحزب ضد الإنعزاليين في الدوائر الفنية والأدبية والعلمية. لقد خضنا هذا النضال في المنظمات المتصلة بالصحة العامة وأبحاث العلوم الطبيعية والأدب والفن والعلوم الإجتماعية. إننا سوف نمضي قدماً في هذا النضال، وأننا ندعو جميع أعضاء الحزب العاملين في هذه الميادين الى وضع حد لهذا الإنعزال.

ومن خلال هذه النضالات إكتسبنا خبرات أود أن أقول شيئاً عنها:

1 – إن العلوم الطبيعية – كما يعرف الجميع – وبضمنها – الطب ليست لها شخصية طبقية، لكن لها قوانين تطورها الخاص، وكل علاقة لها باالمؤسسات الإجتماعية هي انها في النظام الإجتماعي الفاسد لا تستطيع التقدم بسرعة، بينما تتقدم بسرعة رائعة في النظام الأحسن. إن الجانب النظري من هذا السؤال قد سوي منذ زمن بعيد.

ولهذا فمن الخطأ أن ندفع نظرية معينة في الطب والبيولوجيا أو أي فرع من فروع العلوم الطبيعية، كأن نقول «إقطاعية، رأسمالية، اشتراكية، بروليتارية أو برجوازية». ومن الخطأ مثلاً القول بأن «الأطباء التقليديين الصينيين أطباء إقطاعيون» وان «نظرية بافلوف اشتراكية» وان «نظرية ميتشورين اشتراكية» وان «مبادئ مندل ومورجان في الوراثة رأسمالية»، وهكذا ...

يجب إلا نصدق هذه الأقاويل. ويقع بعض الناس في أخطاء كهذه لأنهم إنعزاليون، أما البعض الآخر فيتورطون في هذه الأخطاء غافلين بمحاولتهم التأكيد ولكن بطريقة غير سليمة، على انه يجب أن نتعلم من أسباب كثيرة ولهذا يجب ألا نكدسها مجتمعة، بل أن نعالجها في ضوء ظروفها الخاصة.

وحين نُبرِز أخطاء كهذه، يجب علينا إبراز أخطاء من نوع آخر فمثلاً: إنكار الحقيقة القائلة بأن نظرية بافلوف أو ميتشورين هي نظرية مهمة. إن دوافع مثل هذه الأخطاء ليست واحدة فبعضهم ضد الإتحاد السوفياتي سياسياً، ولهذا ينكرون حتى الإنجازات العلمية في الإتحاد السوفياتي. والآخرون، لأنهم لا ينتمون الى المدرسة الفكرية نفسها، فهم لا يتراجعون قيد أنملة عن وجهات نظرهم. فيما يخص الحالة الأولى نرى ان المسألة تتعلق بوجهة النظر السياسية. أما الحالة الثانية فالمسألة تفكير أكاديمي ولهذا يجب أن تعالج هذه الأخطاء أيضاً في ضوء الظروف الخاصة لا أن تُكَدَّس معاً.

لا يقدم الحزب بخصوص الأعمال الفنية والأدبية إلا ملاحظة واحدة هي ان هذه الأعمال يجب أن «تخدم العمال والفلاحين والجنود»، وفي شروط اليوم يجب أن

تخدم الشغيلة ككل ومن ضمنهم المثقفون. إن الواقعية الاشتراكية في نظرنا هي النظرية الأكثر إثماراً وخَلقاً، لكنها ليست النظرية الوحيدة. إن الكاتب يستطيع إختيار أية نظرية يريد وأن يتنافس مع الآخرين شريطة أن يلتقي مع حاجات العمال والفلاحين والجنود. أما فيما يخص (الموضوع) فإن الحزب لم يحدد أبداً ما يجب أن يتناوله الكاتب كأن يقال: أكتب فقط عن العمال والفلاحين والجنود، أكتب فقط عن المجتمع الجديد، أو أكتب فقط عن النماذج الجديدة في الشعب. إذا كان الأدب والفن يخدمان العمال والفلاحين والجنود، فمن الواضح إننا يجب أن نمجد المجتمع الجديد والناس الإيجابيين ولكن في الوقت نفسه يجب أن ننتقد المجتمع القديم والعناصر السلبية، يجب أن نطري ما هو تقدمي وننقد ما هو رجعي. ولهذا إن مجال الإختيار في «الموضوع» واسع جداً. إن الأدب الخلاق لا يُعنى فقط بما هو موجود أو ما وجد بل بما لم يوجد أبداً، كالآلهة في السماوات، والحيوانات والطيور التي تتكلم وما الى ذلك.

إن الكاتب يستطيع الكتابة عن المجتمع الجديد والناس الإيجابيين، كما يستطيع الكتابة عن المجتمع القديم والعناصر السلبية أيضاً. إن المُحَرَّمات والوصايا حول اختيار «الموضوع» لا يمكن أن تعرقل الفن والأدب وتنتج أشكالاً جامدة وذوقاً رديئاً.

أما عن المسائل المتعلقة بالمميزات الخاصة للفن والأدب، كخلق (النموذجي)، وما الى ذلك، فهذه يجب أن تكون موضوعاً لمناقشة حرة بين الكُتّاب والفنانين، تتصادم فيها الآراء المختلفة حتى يتوصلوا الى إتفاق.

وقد إكتسبنا في المسرح خبرة في تطبيق المبدأ القائل (لتتفتح الأزهار متنوعة وجنباً الى جنب، أزيلوا شوائب القديم لينشط الجديد). لقد كان لهذا المبدأ قيمة كبرى. والذي يجب أن نتعلمه الآن هو تطبيق المبدأ نفسه على كل فروع الفن والأدب.

3 – كانت إنجازاتنا عظيمة في حقل الفلسفة والعلوم الإجتماعية، لكن لهذا السبب بالذات هناك خطر كبير من الإنعزالية فإذا لم ننتبه إليها حاداً فسنواجه خطراً جدياً من الركود الذهني. ومنذ تأسيس الجمهورية الشعبية إنتشر تعليم الماركسية –

اللينينيـة بين المثقفين، كـانت هنـاك حملات لإعـادة تثقيفنـا، ونضـالات ضـد المثاليـة البرجوازية، وإندفاع نحو إستئصال أعداء الثورة المستترين. كل هذه الفعالية صـائبة وضرورية، وقد أثمرت ثمراً طيباً. ولكن يجب على كل حال أن نهتم بالوجه السـيء من المسـألة. إن بعض أعضـاء الحـزب يحبـون إحتكـار الدراسـات الأكاديميـة في الفلسـفة والعلـوم الإجتماعيـة، هم يَـدَّعون انهم على صـواب دائمـاً، وهم يفشـلون في رؤيـة كفـاءات الآخـرين. إنهم يفشـلون في رؤيـة التقـدم الـذي حققـه الآخـرون. إنهم يشنون هجماتهم ضد الآراء التقدمية للآخرين. إنهم يرون أنفسهم أسـاطين العلم، أمـا الآخرون – المثاليون الخالصون وطلبة العلم البرجوازيون – فهم تلامذتهم الصـغار الآن والى الأبد! إن هذا خطر جداً. وإذا إستمرت الحالة فإن هؤلاء الأساطين أنفسهم سيفسَدون أيضاً وسوف تقف الفلسفة والعلوم الإجتماعية في وطننـا عن التقـدم وتفقـد حيويتها. ومن الأفضل لهؤلاء الرفاق أن يوقفوا تقديس الذات هـذا بسـرعة، يجب أن يكونـوا متواضـعين، ينصـتون كثـيراً لنقـد الآخـرين، ويعملـون بصـورة أقـوى في دراستهم، ويتعلمـون مـا يسـتطيعون من الشـعب خـارج الحـزب، ويتعـاونون تعاونـاً صادقاً معهم لنتجنب ما يقصم الظهر في عملنا بنطاق الفلسفة والعلوم الإجتماعية.

إن عمر جمهوريتنا الشعبية يقارب سبع سنين. وبـالرغم من وجـود بعض النـاس الذين لا يزالون متعلقين بالطريقة المثالية في التفكير وبالأفكار البرجوازية، وبالرغم من هذا إستطاع كثـيرون أن يحـرزوا تقـدماً عظيمـاً. يجب أن نهتم في مجـال البحث والعمل التعليمي في الفلسفة والعلوم الإجتماعية بإعادة إطلاق قوانـا شـيئاً فشـياً، كمـا تتطلب الحالة، وأن نصحح النظريات والمقاييس الخاطئة منذ البدايـة، أو الـتي كـانت صحيحة في وقت ما ولكنها الآن غير ذات موضوع. هناك شـيء يجب عملـه لتعبئـة كل العناصر الإيجابية من أجل رفع مستوى عملنا في هذه المجالات.

إن الفلسفة والعلوم الإجتماعيـة كليهمـا فرعـان مهمـان من المعرفـة، لـذا يجب أن نقوم بعمل طيب في هذه الميادين.

أود أن أشير في طريقي الى مسألة التاريخ الحديث. إن التاريخ الحديث فرع مهم جداً من العلم الإجتماعي، ولكننا لم نستطع إنجاز الشـيء الكثـير في السـنوات القليلـة

الماضية في هذا الميدان. لقد سمعت ان الناس ينتظرون من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني أن تضع كتاباً في تاريخ الحزب، وبعده يعتزمون وضع كتب عن التاريخ الحديث مُعتَمِدَة عليه. أرجو ألا تنتظروا أكثر! إن اللجنة المركزية للحزب لا تنوي إصدار كتاب كهذا. كل ما تريد عمله اللجنة المركزية هو نشر (سجل) عن حوادث الحزب في التاريخ الحديث ومجموعة من الوثائق. ولهذا يجب على رجالنا المتخصصين في التاريخ أن يكرسوا أنفسهم لدراسة مستقلة عن المشاكل المختلفة المتعلقة بالتاريخ الحديث. وفي هذا البحث في التاريخ الحديث يجب أيضاً تطبيق سياسة «لتتنافس مدارس الفكر المختلفة» لا غيرها.

ضعوا حداً للإنعزالية وإتحدوا مع كل من عنده إستعداد للتعاون، ومع كل من يمكن أن يتعاون معنا. دعوا جانباً الرغبة في إحتكار الأشياء. تخلصوا من الأحكام غير المعقولة ومن الوصايا، وطبقوا سياسة «لتتنافس مدارس الفكر المختلفة». لا تفكروا بمصالح دائرتكم فقط، حاولوا أن تقدموا مساعدة أكثر للآخرين وللدوائر الأخرى، لا تكونوا مغترين بأنفسكم واثقين جداً بها، كونوا متواضعين وحصيفين وإحترموا الآخرين. هكذا نستطيع أن نقضي على التقصيرات التي عرقلت عملنا في بناء الوحدة، وهكذا نستطيع أن نقوي وحدتنا الى أقصى حد.

إننا نتمنى أيضاً أن يهتم الكتاب والفنانون والعلماء غير الحزبيين بمسألة تأمين وحدة أقوى. وهنا أود أن أعيد قسماً مما قاله الرفيق شو إن لاي في (تقرير حول مسألة المثقفين): «لقد أشرنا قبل قليل الى انه لا يزال هناك بُعد ما بين بعض المثقفين وبين حزبنا، وعلينا أن نأخذ المبادرة بإزالته. إن كلتا الجبهتين تتحملان مسؤولية هذا البعد، فمن ناحية لم يتقدم رفاقنا أو لم يحاولوا شيئاً لفهم المثقفين، ومن الناحية الأخرى لا يزال مثقفون معينون يشعرون ببعض التحفظات تجاه الاشتراكية، بل إنهم ليعارضونها أحياناً. لا يزال مثقفون كهؤلاء في مشاريعنا ومدارسنا ودوائرنا الحكومية وفي مجتمعنا ككل. ونظراً لإخفاقهم في التفرقة بين الصديق والعدو، بين الحزب الشيوعي والكومينتانغ، بين الشعب الصيني والإستعمار، فهم ممتعضون من سياسات وإجراءات الحزب والحكومة الشعبية،

ويتوقون الى الرأسمالية بل حتى الى الإقطاعية. إنهم معادون للإتحاد السوفياتي ولا يريدون تعلم شيء منه. إنهم يرفضون دراسة الماركسية – اللينينية ويستهزئون بها ولإحتقارهم العمل والعمال وشغيلة الحكومة الذين برزوا من الطبقة العاملة فإنهم يرفضون الإمتزاج بالعمال والفلاحين وكوادر الحكومة التي هي من أصل عمالي أو فلاحي. ولِأنهم لا يرغبون في رؤية نمو القوى الجديدة فإنهم يعتبرون التقدميين إنتهازيين، وغالباً ما يثيرون الإضطراب والعداء بين المثقفين وبين الحزب وبين المثقفين أنفسهم. إن لهم لغروراً فضيعاً، فهم يعتبرون أنفسهم الرقم واحد في العالم، ولذا يرفضون أن يقبلوا قيادة أو نقد أي شخص. ولِأنهم لا يعترفون بمصالح الشعب فهم لا ينظرون الى الأشياء إلا من ناحية مصالحهم الشخصية. إنهم يتقبلون ما يخص مصالحهم الشخصية ويضادون ما لا يخصها. إن المثقفين الذين يرتكبون كل هذه الأخطاء قليلون الآن طبعاً، ولكن الذين يرتكبون خطأ واحد أو خطأين ليسوا بالقليلين. وحتى جماعة من الفئة الوسطى غالباً ما تكون لها بعض النظرات الخاطئة المذكورة أعلاه، دع عنك المثقفين المتخلفين. وليسوا قلائل أولئك التقدميين المذنبون بأخطاء كضيق الأفق الفكري والعجرفة والميل الى ملاحظة الأشياء من خلال مصالحهم الشخصية. وما لم يغير مثل هؤلاء المثقفين موقفهم فإن مسافة ستبقى بيننا وبينهم، رغم كل ما قد نبذله للتقريب.» لذا يجب أن ندعو أعضاء الحزب والناس غير الحزبيين على السواء لبذل جهود كبرى من أجل تقوية وحدتنا.

إن الفردية والكبرياء المحلية يمكن أن توجد أيضاً في الدوائر الفنية والأدبية والعلمية. وهناك نقص في التفاهم المتبادل بين شغيلة العلوم القدماء والجدد. إن هذه الأشياء سيئة ويجب التخلص منها. وأنا واثق من قدرتنا ولا يمكن أن توجد صعوبة ما في حل هذه المشكلة إذا حاول أعضاء الحزب تقديم قدوة طيبة والعمل بجد مع الناس خارج الحزب.

3 – النقد والدراسة

بخصوص النقد يعني شعارنا «لتتفتح الأزهار متنوعة ولتتنافس مدارس الفكر المختلفة» حرية النقد وحرية رد النقد.

إن بعض ما لدينا من نقد الآن هو من نوعية الصاعقة، والبعض الآخر كالحليب والماء. فكيف نتمكن من هذه المسألة؟

هناك نوعان من النقد: أولهما نقد موجه ضد العدو وهو ما يصفه الشعب بالنقد الذي «يقتل بضربة»، نقد دون قيد ... والنوع الثاني هو النقد الموجه ضد الشرفاء المخطئين، وهو نقد حسن القصد، نقد رفاقي، في سبيل الوحدة ويهدف الى تحقيق الوحدة خلال النضال. وفي توجيه مثل هذا النقد يجب على الإنسان أن يتمثل الوضع كله في تفكيره، إن الناقد يجب أن يعتمد على الحجة، يجب أن يكون قصده مساعدة الآخرين. إن أحداً يجب ألا يتخذ الموقف القائل «إن الثورة ليست شغلك» مثل «مقلد الشيطان الأجنبي» في قصة لوسين «قصة آه كيو الحقيقية»[8].

يجب أن يكون النقد نتيجة دراسة سليمة. يجب ألا يَتَسرَّع الإنسان في النقد متأثراً بما لاحظ ملاحظة خاطفة، إذ يجب أن يُكتَب النقد بعد دراسة طويلة وتفكير عميق. والفكرة القائلة بأن النقد يتطلب بالضرورة شتماً هي فكرة خاطئة. عندما كنا في يينان كان هناك عدو للثورة إسمه وانغ شي – وي. ومن ثم رأينا عدواً آخر للثورة إسمه هو – فينغ. وقد هاجم الإثنان في «مقالاتهما» أو بطرق أخرى الحزب والنظام الشعبي. وقد صار من المعقول أن نكيل لمثل هذين من أعداء الثورة الضربة تلو الضربة. ولكن الخطأ إستعمال الطريقة نفسها بيننا – نحن الشعب.

أود أن أشير بخصوص النقد الموجه للشرفاء المخطئين الى مقالات أربع: 1 – (أصلحوا دراستنا) لماوتسي تونغ 2 – (صححوا إسلوب عمل الحزب) لماوتسي تونغ 3 – (عارضوا الرطانة الحزبية) لماوتسي تونغ 4 – (حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا) لجريدة الشعب اليومية.

إن المقالات الثلاث الأولى هي نقد للرفيقين وانغ مينغ، وبو كو[9] الذين إرتكبا أخطاءً خطيرة، أما الرابعة فهي نقد للرفيق ستالين، الرفيق الشهير بخدماته الكبرى،

8 - آه كيو هو بطل هذه الرواية المشهورة للكاتب الكبير لوسين (1881 – 1936) ... آه كيو رجل عمل فقير في قرية، وهو يقتات من كده. وفي ثورة 1910 إمتلأ برغبة مضطرمة للإلتحاق بالثورة فذهب طلباً للمشورة الى إبن شيان (السيد المحلي) وهو أحد الثوريين المزيفين، فدعاه آه كيو «مقلد الشيطان الأجنبي» لأنه كان يلبس كالأجنبي ويقلد الطرق الأجنبية. وقد قال هذا لآه كيو إن الثورة ليست شغله.

والذي إرتكب أيضاً أخطاء خطيرة جداً، الرفيق الذي تزيد إنجازاته على أخطائه. عندما يقرأ شخص هذه المقالات فسوف يدرك وجود نقد غير مندفع أو متجاوز الحد، وليس فاتراً متخاذلاً، نقد هو مساعدة للكثيرين. ويمكن أن نلاحظ الى أي حد عظيم إعتنى المؤلفون بدراسة الأشياء قبل أن يكتبوا، إن هذا النقد الثمين هو النموذج الذي يجب أن نشجعه.

إنه لعمل صعب جداً أن نصل الى القمم في العلم والفن. صعب لأن المتمسكين بالواقع وحدهم يستطيعون إرتقاء المدارج، لأنه لا محل لذوي الياقات البيضاء.

يجب أن نقدم كل مساندة لعلمائنا وكتابنا وفنانينا. وفي نظامنا الإجتماعي يستحق العلماء والكتاب والفنانون الذين يقومون بعمل شريف، المساندة لا الضربات. عندما ينصرف الإنسان الى التفكير المستقل والعمل المعقد الخلّاق، يصبح من غير الممكن ألا يخطيء. وقد يرسل الناس أحكاماً خاطئة لسبب بسيط هو وجود ثغرات في ثقافتهم، هذا بالدرجة الأولى وبالدرجة الثانية يخطيء الإنسان لمبالغته فيما هو صحيح والنظر إليه كحقائق مطلقة «يكفي أن تخطوا خطوة صغيرة أبعد، خطوة قد تبدو في الإتجاه نفسه وإذا بالصحيح يصبح خطأً» – (مرض الطفولة اليساري – لينين – المؤلفات المختارة – الجزء الثاني ص 433، دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية موسكو – 1952.).

وهناك مدافعون رائعون عن كل ما هو تقدمي، ولكنهم لا يزالون يخطئون لأنهم – ببساطة – يتصفون بشيء من التسرع، وغالباً ما يقعون في أخطاء من هذا النوع.

وبالدرجة الثالثة، يخطيء بعض الناس بسبب نظرتهم المثالية، ولا غرابة في هذا لأن «طريق المعرفة الإنسانية ليست – ولا تتخذ – خطاً مستقيماً، بل منحنى ذا

---

9 - الرفيقان وانغ مينغ (شين شاو – يو) وبو كو (شن بانغ – سين)، سقطا في الجمود العقائدي وإرتكبا أخطاء يسارية خطيرة بصفتهما قائدين للحزب الشيوعي في سنوات 1931 – 1935، والقارئ المولع يجد الحقائق الأساسية لهذه الحوادث في (قرار حول بعض القضايا في تاريخ حزبنا) – الجزء الرابع من المؤلفات المختارة لماوتسي تونغ. نشر لورنس وويشارت. لندن 1956. وقد قُتِل الرفيق بو كو في حادثة طيارة وهو مسافر من شانكنغ الى يينان في شباط 1946.

سلسلة غير منتهية من الدوائر واللولبيات، وإن أي كسرة أو قطعة أو جزء من هذا المنحنى سيتحول (بطريقة أحادية الجانب) الى خط قائم بذاته، خط سيقودك الى التورط (إذا لم تَرَ الغابة بسبب الأشجار) في المستنقع، في الغموض شبه الديني (بينما يخدم هذا الخط المصالح الطبقية للطبقات الحاكمة.)» – لينين – الدفاتر الفلسفية ص 330 – دار الدولة للمنشورات السياسية – لينغراد 1947 –. ففي طريق المعرفة الإنسانية نرى الجمود الذهني والخطأ في رؤية الأشياء منفصلة (ما ندعوه «الولوج في قرن الثورة») والنظر الى الأشياء نظرة أحادية الجانب. كل هذه الأمور تقود الى الأخطاء المثالية.

شيء إعتيادي أن يخطئ الناس ببراءة. ولا يوجد من لا يخطئ. ولكن يجب أن نفرق بشكل قاطع بين أخطاء كهذه وبين بيانات موجهة بحماس ضد الثورة. إن نقد الأخطاء البريئة يجب أن يكون لمصلحة الآخرين، يجب أن يكون نقداً هادئاً مدركاً. وحينما نقوم بهذا النقد يجب أن نتمثل الوضع كله في عقولنا، وأن نعمل بروح الوحدة والتصميم على تحقيق الوحدة. يجب أن نساعد أولئك المخطئين على اصلاح أخطائهم. كما إن الذين وجِّهَ إليهم النقد يجب ألا يشعروا بالمخاوف لأنهم أنتُقِدوا.

من السهل إرتكاب الخطأ. ولكن الأخطاء يجب أن تصحح بسرعة. إن الأمر يعتمد على الأخطاء المضرة. وإذا تحدثنا عن الشخص المنقود فيجب أن يُعتَمَد على ما هو صحيح في النقد الموجه إليه، وأن يُعارَض إذا كان الآخرون مخطئين في نقدهم. ولكن إذا كان القسم الآخر محقاً فيجب أن تُصَحِح أخطاءك وتتقبل بتواضع نقد الآخرين. أن تعترف بالخطأ صراحة، وأن تقتلع أسباب الخطأ، وأن تحلل الوضع الذي نشأ فيه، وأن تناقش بقوة كيف تصلحه، كل هذه الأمور تُعتَبَر – في المجال الحزبي – ميزةً للحزب الناضج، وفي مجال الفرد ميزة للواقعي. وحين يتقبل الإنسان النقد عندما يخطئ فمعنى هذا إنه يتقبل مساعدة الآخرين. والى جانب مساعدة الشخص المنقود يساعد هذا النقد في تقديم العلم والفن والأدب في وطننا. ولا يوجد، بالتأكيد، خطأ ما في هذا الأمر!

بخصوص الدراسة عامة يجب أن تستمر في ملاحظة ان دراسة الماركسية اللينينية منظمة على أساس التطوع وفي الوقت نفسه يجب أن يكون مدى ثقافتنا العامة واسعاً. يجب أن نتمتع بدراسة نقدية لكل من الماضي والحاضر، للأشياء التي في الوطن والتي من الخارج، ونتمتع بتعلم الناقد من الأصدقاء والأعداء.

إن الماركسية اللينينية تُدرَس بحماسة من قبل أكثر مثقفينا، هذا شيء حسن. إن النظريات العلمية لماركس ولينين هي زبدة المعرفة المعرفة الإنسانية، والحقيقة القابلة للتطبيق في كل مكان. كان بعض الناس يوماً ما يعتقدون إن الماركسية – اللينينية غير قابلة للتطبيق في الصين، ولكن ثبت ان مثل هذه الإعتقادات سخف محض، فبدون قيادة النظرية العلمية للماركسية – اللينينية، كان من غير المصدق أن تنتصر الثورة في الصين وأن نستطيع إنجاز إنتصاراتنا الرائعة وتقدمنا السريع في البناء وفي العمل العلمي والثقافي.

ما تزال لدينا حتى الآن تقصيرات وأخطاء في دراسة الماركسية – اللينينية، والعيب الرئيسي هو الإنحراف نحو الجمود العقائدي.

قبل خمس عشرة سنة في أيار 1941 كتب الرفيق ماوتسي تونغ مقالة «أصلحوا دراستنا» وفي شباط 1942 كتب «صححوا إسلوب عمل الحزب» و «عارضوا الرطانة الحزبية». كانت هذه المقالات الثلاث هي الوثائق الرئيسية التي أستعملت في حملة يينان لتحسين عمل الحزب. وكانت هذه الحملة حملة أيديولوجية ضد الذاتية وبصورة رئيسية ضد الإنعزالية. لقد كانت أعظم حركة ماركسية – لينينية في حياة وطننا الثقافية منذ حركة الرابع من أيار 1919. في عهد الثورة البرجوازية الديمقراطية في وطننا، كانت الثورة الصينية معتمدة تقريباً على الجمود العقائدي. لقد كان الجمود العقائدي وما يزال عدواً لدوداً للماركسية – اللينينية، ويجب ألا ننسى هذه التجربة المؤلمة. ويجب أن نكون منتبهين تماماً الى حقيقة ان الدراسات الأكاديمية إذا أديرت بطريقة عقائدية جامدة، وان العمل الفني والأدبي والبحث العلمي إذا قاده ناس منحرفون نحو الجمود العقائدي، فسوف تسير الأمور

في الطريق الخاطئ، لأن هذا الإتجاه يسير مباشرةً مناقضاً للماركسية – اللينينية في النظر الى الأمور كما هي.

أود أن أستفيد من هذه الفرصة في التحدث إليكم أيها الكتاب والفنانون والعلماء، وأن أذكركم جدياً بهذه المقالات للرفق ماوتسي تونغ «أصلحوا دراستنا» – «صححوا إسلوب عمل الحزب» – «عارضوا الرطانة الحزبية» و «قرار حول بعض مسائل تاريخ حزبنا» مُقَرَّة من قبل اللجنة المركزية السادسة للحزب الشيوعي الصيني في دورتها العامة السابقة في 20 نيسان 1945. إنني آمل من كل مشتغل في هذه الميادين أن يقرأ ويعيد قراءة هذه الوثائق الى أن يدرك الفرق بين الجمود العقائدي وبين الماركسية اللينينية، الى أن يكشف لماذا يصبح السابق هو العدو اللدود للأخيرة، ولماذا نجد من الضرورة أن نشن نضالاً هادفاً ضد الجمود العقائدي.

يجب أن يكون مدى ثقافتنا العامة واسعاً، فللصين تراث غني في الطب والزراعة والفلسفة والتاريخ والأدب والدراما والرسم والموسيقى ... الخ. وإن هذا التراث يجب أن يدرس ويتقبل بعد النقد. ليست المسألة إننا عملنا كثيراً في هذه الميادين، بل إننا عملنا قليلاً جداً، ولم نكن جادين تماماً في هذا السبيل. وما يزال يوجد هذا الإتجاه الذي يستصغر تراثنا الوطني وانه في بعض الأجواء مشكلة خطيرة حقاً.

ما نوع التراث الذي يجب أن نتقبله؟ وكيف نتقبله؟

إذا كان علينا أن نتقبل فقط ما يتلاءم ومقاييس الوقت الحاضر فلن يبقى لنا شيء. ومن الناحية الأخرى، إذا أردنا أن نتقبل كل شيء من تراثنا الثقافي دون نقد فمعنى هذا إننا سنسير على الإتجاه المُلَخَّص في هذه الفترة: – كل شيء صيني هو الأفضل.

وأنا أرى وجوب أخذنا بالمبدأ التالي فيما يخص تراثنا الثقافي: إختر بعناية وإحفظ وغذ كل ما هو حسن فيه، وفي الوقت نفسه ننقد أخطاءه وعيوبه جدياً.

يتعثر عملنا في الوقت الحاضر نظراً لأننا لم نعمل بصورة حسنة. وهناك ميل الى رفض حتى ما هو حسن في تراثنا الثقافي.

هذا هو الميل الرئيس في الوقت الحاضر.

إن الإخراج الأخير لأوبرا كوانشان «خمسة عشر خيطاً من النقود» يرينا مبلغ خطأ الذين ينكرون وجود شيء حسن في أوبرا كوانشان.

وإذا وجد مثل هذا الميل في المسرح فماذا عن فروع الفن الأخرى، والأدب والبحث العلمي؟ يجب أن نعترف بوجود ميول مماثلة في هذه أيضاً، ويجب أن نفعل شيئاً في هذا السبيل.

ويمكننا في الوقت نفسه أيضاً أن نرى ميلاً الى عدم نقد تراثنا الثقافي، أو حتى التعليق على العيوب الموجودة فيه، أو على التلويث الذي لحق بهذا التراث.

إن هذا الإتجاه إتجاه غير شريف وغير مخلص ويجب أن نغيره أيضاً. إن شغيلة الفن والأدب والعلم يحتاجون الى أن يتعلموا من الشعب. إن حكمة الشعب ينبوع لا ينضب. ولا تزال هناك كنوز في الشعب لم تُكتَشَف حتى الآن، إذ ان بعضها مكتشف إلا انه لا يزال بعيداً عن الإفادة الحسنة منه.

كانت تُحتَقَر، في الماضي، بعض أساليب الطب كالوسم والكي وتمارين التنفس، والآن فقط بدئ بملاحظتها. ولكن بعض طرق الإشفاء كالتدليك والأدوية العشبية وغيرها لم تحظ حتى الآن بالإهتمام الذي تستحقه.

ثم لنأخذ الموسيقى والرسم. إنه لم توجه عناية كافية لتراثنا الوطني في هذين الفرعين من الفعالية الخلاقة.

أينما وجدت مثل هذه الميول فيجب أن تصحح.

إن الأشياء تأتي من الشعب كما هي، وهي ليست متطورة الى درجة عالية، إنها فجة، أو يعوزها الشرح النظري، وفي بعضها شيء من الدجل أو تلويث الخرافيين. وليس في هذا ما يدهش، إن على علمائنا وفنانينا وكُتّابنا ألا يحتقروا هذه الأشياء، ولكن عليهم أن يكرسوا أنفسهم بعناية لدراسات حولها، عليهم أن يختاروا ويحفظوا ويُغنوا ما فيها من حسن. وحينما تدعو الضرورة يستطيعون وضع أساس علمي لها.

يجب أن يكون لنا إعتزازنا القومي، ولكن ألا نكون قوميين عدميين. إننا نعارض الإتجاه القائل بـ «جَعل حياتنا غربية تماماً»، ولكن هذا لا يعني اننا نكون متعجـرفين منطوين نرفض تعلم الأشياء المفيدة من الخارج. إن وطننا لا يزال متأخراً جداً. إننـا نستطيع أن نجعله ناجحـاً وقويـاً بمجـرد بـذل جهودنـا لتعلم كـل مـا يمكن من البلـدان الأجنبية. وتحت أية ظروف كانت، لا يمكن إقرار التعجرف القومي.

يجب أن نتعلم من الإتحـاد السـوفياتي، من الـديمقراطيات الشـعبية، ومن شـعوب البلدان كلها. أن نتعلم من الإتحاد السوفياتي، هـذا شـعار صـحيح، ولقـد تعلمنـا قليلاً، لكن بقى لنا الكثير لنتعلمه. إن الإتحاد السوفياتي هو أول دولـة اشـتراكية في العـالم، وقائد المعسكر العالمي للسلم والديمقراطية. إنه يملك أعلى مستوى للتطور الصناعي ولديـه خـبرات غنيـة في بنـاء الاشـتراكية، وفي فـروع غـير قليلـة من العلم إسـتطاع الإتحاد السوفياتي الوصول الى مستوى أكثر البلدان الرأسمالية تقدماً، بـل لقـد تفـوق عليها. وثمين جداً أن نتعلم من بلد كهذا البلد، ومن شعب كهذا الشعب. وخطأ فاضـح ألا نتعلم من الإتحاد السوفياتي.

ولكن في تعلمنا من الإتحاد السوفياتي يجب ألا نـأخذ نسخة آلية من كـل شـيء في الإتحاد السوفياتي بطريقة جامدة. يجب أن نـأخذ ما عرفنا انه يلائم ظروفنـا الراهنـة، ويجب أن ننتبه الى هذه النقطة وإلا فسوف نقع في مصاعب. والى جانب تعلمنـا من الإتحـاد السـوفياتي يجب أن نتعلم من الـديمقراطيات الشـعبية. إن لكـل ديمقراطيـة شعبية كفاءتها الخاصة، وبعض الديمقراطيات الشـعبية متقدمـة أكـثر من الصـين في الصناعة والتكنيك العلمي، وبعضها أكثر تقدماً في ميادين أخرى. والتعلم منها شـيء ثمين جداً.

والغطرسة في هذه الحالة لا محل لها.

والنـاس في غـير الإتحـاد السـوفياتي والـديمقراطيات الشـعبية لهم مؤسسـات إجتماعية وأنظمة سياسية مختلفة. إن المؤسسات الإجتماعية والأنظمـة السياسـية قـد تأتي وتذهب، لكن الشعب سيبقى ويستمر في التقدم. وليس لسبب سيء أن يكون هذا واقعاً. ولهذا يجب أن نـدرس دراسـة نقديـة ونتعلم كـل حسـن لـديهم في الفن والأدب

والعلم وما هو مألوف عندهم في كل مجال. وهنا أيضاً لا محل للشعور بالتفوق. يجب أن نرى ما يمكن تعلمه من أعدائنا علاوة على تعلمنا من أصدقائنا. يجب أن نتعلم، لا الرجعي في أنظمتهم، وإنما الحسن كأساليب الإدارة والتكنيك العلمي، وغايتنا في هذا هي التعجيل بتقدم بنائنا الاشتراكي، لنبني قوتنا فنقف بوجه الأعتداء ونحرس السلام في آسيا وفي العالم أجمع.

أحب أن أقول شيئاً حول تعلم الحِزبيين من غير الحزبيين.

إن الثقافة التي يملكها عدد قليل من أعضاء حزبنا هي أقل مما يجب أن تكون، وتنقص الناس غير الحزبيين، عادة، أسس المعرفة الماركسية – اللينينية، لكن هذا الأمر أصبح بالنسبة لأصدقائنا اللا حزبيين المهتمين بدراسة الماركسية – اللينينية شيئاً زائلاً أو يكاد. وعلى أي حال نرى كثيراً من هؤلاء الأصدقاء قد سدوا، أو يسدون الآن، هذه الثغرة. ولهذا سوف تحل المسألة نفسها.

النقطة التي أود لأعضاء الحزب الإنتباه اليها هي الإهتمام بنواقصهم وإصلاحها وهناك سبيل لهذا هو طلب النصيحة، والتعلم من العارفين بإخلاص وتواضع. إن الأغلبية الساحقة من أولئك المثقفين غير الحزبيين، تدرس بالحاح، وعلى أعضاء الحزب الشيوعي ألا يتخلفوا عن التعلم منهم. إن هذه نقطة مهمة بخصوص دراستنا.

والآن، وقد بُسِطَت سياستنا – «لتتفتح الأزهار متنوعة، ولتتنافس مدارس الفكر المختلفة» – كثيراً من المشاكل التي ستنبت الواحدة بعد الأخرى مطالبة بالحلول. وآمل منكم جميعاً أن تفكروا كثيراً في هذه القضايا.

واليوم لمَستُ فقط بعض القضايا المبدأية وكل ما قلته مفتوح الأبواب للتصحيح.

«خطاب ألقاه لوُ تنغ – يي في 26 مايس سنة 1956 ونقحه في 6 حزيران 1956».

حاشية للمؤلف:

وردتني منذ إلقائي هذا الخطاب إثنتان وسبعون رسالة من ضمنها رسالة من السيد كيو موجو، وبعض هذه الرسائل مكتوب بصورة شخصية والبعض الآخر

نيابة عن جماعات. بعضها يبدي آراء حول خطابي والبعض الآخر يتحدث عما يعتقده كاتبوها أنفسهم فيما يتعلق بالسياسة. وقد ساعدتني هذه الخطابات جميعاً مساعدة عظيمة. وأنتَهِز هذه الفرصة لأعرب عن شكري المخلص.

4 – (ملحق)

أ – أرسَلَ إلي عدة علماء رسائل يعبرون فيها عن وجهة نظر ترى وجوب الإحتراس من سوء فهم سياسة «لتتنافس مدارس الفكر المختلفة». وإليكم مقطعاً من رسالة يانغ شاو – لين بدار النشر العلمية:

«لا يوجد أدنى شك في ان مبدأ "لتتنافس مدارس الفكر المختلفة" هو مبدأ سليم تماماً، أما في مجال التطبيق فيوجد إحتمال الضلال. ولهذا يجب الإحتراس. وكما تقترح العبارة، يجب إعتبار المتنافسين، قليلاً أو كثيراً، ممثلين لهذه المدرسة أو تلك. ولكن هناك أناساً يلعبون بالمعرفة لعب الأطفال المرحين بالماء. وهؤلاء الناس، إذ يعثرون على شيء ما ويظنون انهم يعرفون كل شيء، وإذ يرفضون أن يدققوا أكثر وأن يتخذوا سبيلاً قويماً في دراستهم الأكاديمية، فإنهم يقعون في ورطة موحلة لا يستطيعون الخروج منها. وفي الواقع هم يتمسكون بأخطائهم ويرفضون الإعتراف بالحقيقة.

ولِأضرِب لك هذا المثل الصارخ:

كل شخص يتقبل عملياً، إستعمال المنقلة والمسطرة ببساطة، لتقسيم زاوية، ويدرك ان بناء ماكنة أبدية الحركة قد ثبتت إستحالته.

لكن لا يزال بعض الناس يختارون إضاعة أوقاتهم وإنهاك عقولهم بحثاً عن المعجزات. وربما كانوا قلائل أولئك الذين يضيعون طاقتهم وذكاءهم في محاولات عديمة الجدوى ولا معنى لها، لكن من المحتمل أن يرحب، قسم من هؤلاء، بسنوع الفرصة لإيجاد «مدرسة فكرية» بين ليلة وضحاها، وخلق الإثارة بالإشتراك في المنافسة دون أي إلتفات الى الدراسة العميقة الواجبة. وتجربتي انك إذا إقترحت إشراكهم في دراسة جدية لبعض الأمور التي بلغت نهاياتها الحسنة، فانك لن تنال إلا

ردوداً شديدة ثرثارة مثل: «تلك مرتبطة بقسم من الباحثين البرجوازيين. إنها مثالية!».

ولنأخذ حالة أخرى مشابهة للسابقة بعض الشيء. إننا نعرف من التجربة ان هناك أناساً، مهندسين وتكنولوجيين خاصة، ليس لديهم، بحكم طبيعة عملهم، إلا فرصة صغيرة للإطلاع على الوثائق والمواد الأخرى التي تتعلق بأعمالهم. إنهم يتحملون آلاماً فظيعة ويستعملون الأشياء دون إستشارة الإختصاصيين أو البحث عن النصيحة. وأخيراً يحاولون حل مشاكلهم بطريقة صائبة. لكنهم، للأسف، لا يدركون ان هناك شخصاً آخر قد أنجَزَ قبلهم بكثير ما جهدوا في إنجازه والتوصل إليه، وربما كان ذلك قبلهم بعدة عصور.

ستمضي سنوات من العمل والتدرب حتى يغدو الشخص باحثاً وشارحاً لمدرسة فكرية، ليتنافس ببراعة. هذا مطلب عام في فهم النظرية، وأنا أعتقد ان هذه النقطة بحاجة الى التأكيد، فما لم نفهمها جيداً، ستجد الهيئات المختلفة للبحوث والثقافة العالية نفسها مسلحة بإكتشافات وإختراعات أرباب «البحث!» أو «موجدي مدارس الفكر!» الذين إختاروا التنافس مع بعضهم. وستنفق تلك الهيئات مقداراً عظيماً من الوقت الثمين الذي سيضيع في تلك الأشياء، لتوضح بصبر وعناية، لماذا تلك الأشياء مستحيلة، أو لتشير الى ان آخرين قد إكتشفوها منذ زمن. وكل ذلك سيكون، طبعاً، تبذيراً محضاً لطاقة كل مهتم بالأمر. وإذا كان للشخص، على أي حال، فِهم صحيح لمعنى «لتتنافس مدارس الفكر المختلفة» فإن هذا التضييع للجهد سيتقلص وسيمكن تحويل الطاقة المهدرة الى مجاري مفيدة».

إن آراء السيد يانغ وعدة علماء آخرين في كيفية تجنب تحريف سياسة: «لتتنافس مدارس الفكر المختلفة» قائمة على تجربتهم الشخصية، وهي حكيمة. يجب أن يُتَّقى كل تصحيف وتحريف من هذا النوع.

ب – هناك جماعة من الناس ترى بأنه يجب ألا تكون هناك حرية لنشر المثالية في الصين. ويرى آخرون انه ما زالت هناك حرية لنشر المثالية فيجب أن يكون للمثاليين مطلق الحرية في القيام بذلك. وكلا النظرتين خاطئتان. خذ الدين كمثل.

ففي بلدنا معابد وكنائس وجوامع لمختلف الهيئات الدينية ... ولها جمهورها الخاص، ودور نشرها الخاصة، ولها مدارس تدريب الواعظين الخاصة أيضاً. وإنها لحرة في أن تكون لها مثل هذه الأشياء التي تحميها الدولة. وعلى كل حال، لأجل صيانة الوحدة بين المؤمنين (غير الملحدين)، وغير المؤمنين (الملحدين)، ولتجنب الصدامات فيما بينهم، فإن غير المؤمنين لا يوجهون دعايتهم ضد الدين في الكنائس والمعابد والجوامع، والمؤمنون لا يعظون بمبادئهم الدينية في الإجتماعات العامة خارج الكنائس والمعابد والجوامع. لذا هناك حد لحرية كلا الجانبين ... المؤمنين وغير المؤمنين، في نشر معتقداتهم.

ملاحق

– ملاحق –

«صدرت في مجلة (الأدب الصيني) الفصلية العدد 3 سنة 1957»

1) «مقدمة» – لرئيس تحرير المجلة : ماو تون.

2) «عارضوا التفكير العقائدي الجامد، والبرجوازي الصغير» : ماو تون.

3) «أجوبة على أسئلة مراسل (شنغهاي وين وي باو)» : شو يانغ. «ترجمها (جميعاً) عن الإنكليزية جليل كمال الدين وراجعها ناظم توفيق».

4) «وجهات نظرنا حول الأدب والفن المعاصرين» : شين – شي – تنغ، شين – يا – تنغ، ما – هان – بنغ، لو – ليه.

5) «بعض التعليقات حول وجهات نظر شين – شي – تنغ والآخرين» : وين – لي – باون.

6) «من أجل إزدهار الأدب والفن الاشتراكيين» : وين – لي – باون.

7) «الكتابة حول التناقضات» : شانغ – تيين – لي. ترجمها جميعاً عن الإنكليزية قاسم أحمد العباس وراجعها ناظم توفيق.

8) «كاتب يتحدث عن الكتابة» من مجلة (الصين تُبنى من جديد) – 1957 : لاوشيه. ترجمة: ناظم توفيق.

☼ ☼ ☼

مقدمة

لقد تلقى المثقفون، في كافة أنحاء القطر، خطاب لوُ تنغ – يي بقبول حسن جداً. وقد طلع جَو جديد في حقول الفن، والكتابة الإبداعية والتحقيق العلمي. وكُتِبَت مقالات كثيرة حول ذلك، وإنبَثَقَت أفكار وآراء متباينة لتنافس الواحدة الأخرى، في فروع المعرفة المختلفة.

لكن ما كل العاملين في عالم الحروف قد فهموا الدلالة الإيجابية لهذه السياسة الجديدة فهماً طيباً. فالبعض كانوا منزعجين في اللحظة التي راؤا فيها نتاجات مريضة قليلة بين تلك التي نُشِرَت وإنطلقوا من هذه النقطة الى الإستنتاج ان ذلك هو حاصل تلك السياسة. وتَذَمَّرَ هؤلاء من أن (الفتح) قد فلت بعيداً من اليد، وأن «المنافسة» قد أصبحت فوضوية. لقد أراد هؤلاء الأشخاص، بوعي أم بغير وعي، أن تتغير السياسة، أو أن تُحَدَد بحدود في الأقل. وكان ممثل هذا النوع من الآراء مقال «وجهات نظرنا حول الأدب والفن المعاصرين» بقلم شين شي – تنغ وثلاثة كُتّاب آخرين. وقد نُشِر في جريدة جينمينجيباو (الشعب اليومية) بتاريخ 7 كانون الثاني 1957. فأثار إهتماماً واسعاً. وكيما يستطع المثقفون أن يحظوا بتفهم واضح لهذه السياسة عَقَدَت «شنغهاي وين وي باو» مقابلة مع شو يانغ، نائب مدير مكتب دعاية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني. وقد أعدنا طبع أجوبته هنا، سوية مع المقالات العديدة الأخرى ذات الطبيعة المميزة، مع المقالة الأصلية لشين شي – تنغ والآخرين.

(مجلة الأدب الصيني)

«عارضوا التفكير العقائدي الجامد، والبرجوازي الصغير»

ماو – تون

قبل حوالي ثمانية أشهر طَرَحَت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني شعار: «لتتفتح مئة زهرة، ولتتنافس مئة مدرسة». كسياسة طويلة الأمد، لتمكين عملنا الأكاديمي، وتمكين أدبنا وفننا من تخليد أجمل ما في تراثنا بتوسيع طاقته وشمولها دروباً جديدة، ومن تَمَثُّل أطيب ما فيه وما يمكن أن يبدع في مدى واسع من الفعالية. وإنه لمن غير المعقول أن نتوقع أيما إنجازات كبيرة جديدة في بحر ثمانية أشهر فحسب. ومع ذلك، فحتى خلال هذا الوقت القصير الذي تصرم، لم تكن قد أنبثقت أشياء جديدة كثيرة لتنافس الواحدة الأخرى فحسب بل إننا أيضاً قد كسبنا ما أعتقد انه يستحق أن يسمى حصاداً أولياً. لقد تقدمنا كثيراً في جهودنا من أجل قهر الجمود العقائدي والإنعزالية – هذين العدوين للتحقيق الأكاديمي والإبداع الفني.

بالتأكيد لم يكن ذلك سهلاً بالقدر الذي توقعه البعض. فنحن لما «نتفتَّح» و «نتنافس» على نطاق واسع، وفي طريق قهر الجمود العقائدي لم يَكشِف سوى القليل منا عن موقف صحيح. وقد أظهرت هذه الأخيرة نفسها بكتابات غير إنتقادية لكل إنجازاتنا السابقة، بشكل تسيب، أو حتى إزدراء لدراسة الماركسية، وبشكل مبالغ في التفخيم للطبيعة الخاصة للفنون، وفي إستعمال هذه الطبيعة الخاصة كعذر لإضعاف المجال الإيديولوجي للأدب والفن والى حد التشكيك في وجوب خدمتهما الشعب العامل، بل الى حد التشكيك في صلاحية وجهة النظر الماركسية كقائد نظري للخلق الفني.

ففي الأدب لحظنا ظهور «الحب لأجل الحب» والكتابات الداعرة، بمقدار ما لاحظنا كتابات تنضح بالإستبطانات المقرفة، وأعمالاً ومؤلفات تلتصق وثيقاً بتفاهات الحياة، وتخلو تماماً من أي محتوى فكري وإنطَلَقَ البعض بنظرية غريبة

مؤداها أن مصدر كل الأعمال القولبية والتصفيحية[10] في الأدب والفن هو خط خدمة العمال والفلاحين والجنود.

إن هذه الأفكار الخاطئة، هذه «الحشائش الغريبة» و «الأعشاب السامة» التي نمقتها جداً هي مظهر التفكير البرجوازي الصغير. وبالقدر الذي تريد البرجوازية الصغيرة أن تعيش فان أيديولوجيتها تسعى الى جعل نفسها محسوسة. ولكن بينما يجب أن نغلق عيوننا عنها، يجب أن لا ندعها ترعبنا. إن أدبنا وفننا، جوهرياً، هما صحيحان ومعافيان، وهما يتقدمان أبداً.

والتفكير اليميني واضح في كل فروع الأدب لدرجات كبيرة أو صغيرة، وهذا طبعاً، قد جذب إنتباهاً واسعاً، وسبَّبَ بعض القنوط. وأنا خائف ان قلة قليلة تماماً من الشعب لم تكن قانطة بالضبط، بل فزعة. إن مقالة «وجهات نظرنا في الأدب والفن المعاصرين» لشين شي – تنغ وثلاثة رفاق آخرين، نموذجية في رد فعل ورجع عدد محترم من الناس. فبينما أتعاطف مع إهتمامهم بمبادئ العامل – والفلاح – والجندي الأدبية ومع صيانة الأدب الاشتراكي وبالقدر الذي أتعاطف مع غيرهم في مهاجمة التفكير البرجوازي الصغير، أجد مقالتهم غير مقنعة لأن إنتقاداتها عقائدية جامدة. فهي لا تفشل فقط في توجيه ضربة فعالة ضد التفكير البرجوازي الصغير، ولكنها تمنح قراءها الإنطباع بأن هناك ضرراً أكثر من النفع في تشجيع الجدل الحر في الفنون والعلوم. وبالنسبة للكثرة الغالبة من مثقفينا. وبالضبط في عملية الفعالية الإبداعية الجديدة، بدافع هذا الخط من النظرية، تبدو المقالة كمثل رشقة ماء بارد.

إن كتابها لم يقارنوا ولم يقدروا صحيحاً الطاقة النسبية في القوى الاشتراكية الإيجابية في الفنون، مقابل تلك التي للعناصر البرجوازية الصغيرة الرجعية. وبملاحظة انه منذ حزيران العام الماضي، كانت قد ظهرت بعض «الحشائش الغريبة» و «الأعشاب السامة» بين «الأزهار» وان نظريات غريبة ومشوشة كانت قد قُدِّمَت خلال المناقشات بين «المدارس» المتباينة بملاحظة هذا نجدهم لم يأخذوا على عاتقهم ولم يتجشموا عناء التحليل، بل انهم قفزوا الى الإستنتاج: «إن

10- القولبة والتصفيح ... هما وضع الأعمال الأدبية وفق قالب وتخطيط مفروض محدود الجوانب كالصفيحة (المترجم).

هذا قد أضعَفَ الروح الكفاحية لفننا وأدبنا ولطَّخَ وجه لغة عصرنا وشوهها، وقد أخفَتَ زخم البناء الاشتراكي في الفن والأدب الذي كان يجب أن يعكسه». إن هذا غير مدعوم بالحقائق.

إن المقالة تضع عدداً من الأسئلة الأدبية الهامة، وذلك مثل إختيار المواضيع حول «التوافه الإعتيادية المألوفة» و «الرقة العاطفية» وقضية الكتابة القولبية والتصفيحية، ونبش وطبع الدرامات التقليدية، والمناقشات حول الواقعية الاشتراكية، وهلم جرا. ولكن لسوء الحظ، يبالغ الرفيق شين شي – تنغ وشركاؤه في المقالة في تبسيط هذه الأسئلة. فعوضاً عن فحص هذه الأسئلة بشمول كلي، فإنهم يَطرِدون، بخفة وبساطة رأي لا يوافقهم. إن هذا النوع من الإنتقاد العقائدي الجامد سوف لا يقنع أحداً. وهم يصنفون الآراء التي أثارها بعض الرفاق حول الواقعية الاشتراكية على انها «مريبة وقابلة للنقض» وإنها «نتاجات التفكير البرجوازي الصغير في الفنون». وإنه لمن الصعب الموافقة على حكم كهذا.

إنهم يعارضون التفكير البرجوازي الصغير في الفنون. وأنا أتفق كلياً مع معارضتهم هذه. وفضلاً عن ذلك، إنني لا أشعر ان ذلك يجب أن يكون أحد العوامل الهامة في تناولنا الأيديولوجي للأدب والفن. ولكن في مجرى هذا النضال في تفكيرنا يجب أن نكون حذرين الكفاية من الرجوع الى نفس النغمات الدوغمائية القديمة، يجب أن نقاوم الجمود العقائدي بكل طاقتنا. إن الوضع السهل للتحفظات مقابل «التفتح» و «المنافسة» سوف لا يحل أي شيء. وإن إزالة التفكير البرجوازي الصغير لعمل كدود، معقد طويل الأمد. إن إنتقادنا يجب أن يكون مدفوعاً برغبة أن نربح الشخص الذي ننتقد، إنه يجب أن يقود الى وحدة جديدة معه وعلى أسس جديدة بعد الإنتقاد والنضال. يجب أن ندع كل شخص «يتفتح» و «يتنافس». يجب أن ندع الأبواب مفتوحة للمناقشة الحرة، وفي مجرى المناقشات وسيرها نثقف شعبنا بالماركسية – اللينينية. دعونا نشجع ونساعد الشعب في الفنون، نساعدهم لأن يمضوا في أعماق الحياة، في أعماق النضال، في أعماق الواقعية الاشتراكية، وهكذا فقط يستطيعون تطوير تفكيرهم.

ثمة نظرية تدور حول هذا المعنى: إن أهم رأسمال للكاتب هو خبرته بالحياة، وان الحقيقة هي «روح» كل عمل إبداعي. إن هذا يبدو حسناً في ظاهره، ولكن حينما تتغلغل فيه قليلاً تجد أمامك ذلك غير ضروري للكاتب ليطور تفكيره. وبكلمة أخرى، إن الكاتب لا يحتاج وجهة النظر الماركسية للعالم.

إن هذه النظرية خاطئة. فإن لم تكن لدى الكاتب وجهة النظر الماركسية، فمن الأكيد ان لديه نوعاً آخر – وجهة النظر البرجوازية أو لربما وجهة نظر تتصل بالإقطاعية. وهو حين يواجه الحياة، أو الفعالية الفنية فهذه هي وجهة النظر التي يقاربها. أو ليس ذلك أمراً خطيراً حقاً؟

إنني لَأعتَقِد ان وجهة النظر الماركسية للعالم يجب أن نحظى بها كلنا، نحن الفنانين المبدعين. إنني لأتوق الى رؤية الجميع يمتلكون هذا الكنز السحري. ولكن دعونا نتكلم بصراحة: ما لم يُترَك الخيار، كلياً، للمؤلف – بعد منحه الفرصة لدراسة وإختبار الحياة، وبعد منحه العون الجماعي الصبور – فإنه سوف لن يكتسب حقاً هذه النظرة وإن نحن طلبنا من الكاتب أن يكتسب وجهة النظر الماركسية للعالم قبل كتابة أي شيء، فإننا سنكون لا واقعيين، وسنقف موقفاً بعيد المنال. وما هو أكثر، هو انه إذا تَطَلَّبَ الكاتب نفسه ذلك، مهما كان مخلصاً كشرط إكتسابي من أجل أن يسيطر قلمه على قرطاسه، فإنه إما سينهي الكتابة تحت وهم انه يمتلك إدراكاً كاملاً للماركسية، أو يبقى خاملاً، مشلولاً لعدم تأكده ان فهمه الأيديولوجي كافٍ ووافٍ.

على ان وجهة النظر الماركسية للعالم ليست عملاً أكاديمياً في المدرسة، فحيثما تقرأ بعض النصوص، فإنك تتعلم أن تقول بعض الأشياء في الموضوع، وسَتَعتَبِر انك سيطرت عليه. إن إختبار ما كان الكاتب قد إكتسب وجهة النظر الماركسية للعالم هو: هل إنه إكتسب نظرة بعيدة وعميقة في المجتمع؟ هل يستطيع أن يلتقط القضايا الأساسية؟ هل هو قادر على إدراك جوهر التطور الإجتماعي؟ إن كتاباته فقط هي مقياس التحقق من إكتساب هذه الصفات.

وهكذا فإن أحسن شكل للمساعدة هو الدراسة المستمرة، وخبرة لا منتهية بالحياة، وبالمشاركة الفعلية في النضال، والكتابة والمزيد من الكتابة. وأحسن طريقة يستطيع الآخرون أن يساعدوا بها كاتباً هي النقد العلمي لمؤلفاته. وبالنسبة للناقد، فإن معرفته بالنظرة الماركسية الأدبية لا يمكن أن تُختَبَر إلا خلال إنتقاده. وعدا عن الدراسة والكتابة، فإن أفضل إسلوب للعون الذاتي لدى الناقد هو أيضاً الحصول على الفهم الأوسع للحياة. أما طريق إعانة الناقد فهو بنقد إنتقاده.

لسنا مدعوين للخوف من أن «أزهارنا» سوف لا تكون عاطرة جداً. فنحن نستطيع الإعتماد على النقد المناسب الودي، والدقيق والعلمي. كذلك، لا نحتاج أن نقلق من أن بعض منافستنا ستكون خشنة، فهنا نستطيع إنتقاد النقاد والإنشغال بمناقشة حرة.

إن ما يجب أن نتحاشاه كما نتحاشى الطاعون هو الإنتقاد العقائدي الجامد. فهذا هو أسوأ نوع من الإنتقاد – سواء كان موجهاً ضد العمل الإبداعي أم كان موجهاً ضد مقالة إنتقادية.

وفي خلال معارضتنا للعقائدية الجامدة، يجب علينا، في الوقت نفسه، أن نعارض التفكير اليميني. فكلا هذين الأمرين جبهتان لنفس النضال. وإنه لمهمة شاقة مديدة، ولا تتصور إن حملة واحدة ستحل كل القضايا. بل الأحرى إنها تعني أن نعمل شيئاً حينما وأينما إستطعنا. على أن تكون هناك خطة شاملة طويلة الأمد.

إن نظرتي الخاصة هي إننا يجب أن نهاجم من ثلاث زوايا في آن واحد: دراستنا للماركسية اللينينية، وتخطيط إبداعنا الفني، وتخطيط معرفتنا للحياة – أغنى تعلم كل ما يتعلق بالشعب والمجتمع. ولقد إكتسبنا خبرة في هذا الخصوص، وكسبنا بعض النجاحات، بينما فضحنا بعض نقائصنا المعينة.

ويبدو لي، ان تقصيراتنا الأكثر خطراً هي الشكلية (وهي ناتجة في جزء منها إن لم يكن في كلها) من دراستنا وأساليب عملنا، فإننا يجب أن نغوص أعمق فأعمق في جوهر حديث الرئيس ماو الأخير في الإجتماع الموسع لمجلس الدولة «نحو الحل الصحيح للتناقضات بين صفوف الشعب»، يجب أن ندرس كل الخطاب وأن لا

نقتصر على القسم الذي يعالج المنافسة الحرة في الفنون والعلوم. إن ذلـك سيسـاعدنا كثيراً في قهر أخطائنا العقائدية الجامدة، والبيروقراطية، والإنعزالية.

(من الشعب اليومية 18 آذار 1957)

أجوبة على أسئلة مراسل وين وي باو

بقلم: شو يانغ
نائب مدير مكتب دعاية اللجنة المركزية
للحزب الشيوعي الصينيون

س: أي إنجازات هامة حُقِّقَت في العلم والأدب والفن منذ أن قدمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني سياستها في «لتتفتح مائة زهرة، ولتتنافس مائة مدرسة»؟

ج: لما تمر سنة منذ أن وضِعَت هذه السياسة في ترقية نمو الفنون والعلوم موضع التنفيذ. لذلك، فإنه لكثير طبعاً، أن نتوقع أن تنتج تلك السياسة نمواً كبيراً في الأعمال الفنية والأدبية والعلمية. وعلى أية حال، فقد لحظنا مسبقاً بعض النتائج الإيجابية. فكثير وكثير من الناس يشاركون في المناقشات الحرة في الحلقات الأكاديمية. وفي الإثنى عشر شهراً الماضية كانت هناك مناقشات حيوية في علم الوراثة، وأسئلة في التاريخ الصيني، وتاريخ الفلسفة الصينية، والمنطق والواقعية في الفن والأدب. وكان ثمة تزايد ملحوظ في عدد الدوريات المكرسة للتحقيق العلمي، والفن والأدب. ولقد نبتت هذه، كما يقول المثل الصيني، «مثلما يطلع الخيزران بعد مطرة ربيعية».

شكراً لهذه السياسة، ولنداء «لنتجه الى العلم!» فالكتب التي نُشِرَت في الفنون والعلوم في العام الماضي كانت أكثر مما نشر في ست سنوات من 1950 – 1955.

وفي العام الماضي أعيد طبع وتمثيل كثير من المسرحيات التقليدية في أنحاء مختلفة من القطر. إن ذلك حدث كبير في العالم المسرحي. وقد عالج كتّابنا وكتبوا كثيراً من المواضيع، كما إن أساليبهم غدت أكثر تبايناً، والقراء يكرسون اليوم إنتباهاً متزايداً لنمط الأدب الذي يفضح بجرأة وينتقد بحدة الأوجه السلبية للحياة. إن

كل هذا شيء حسن، إنه حال طبيعي وصحيح بصورة أساسية، وهو في الوقت ذاته علامة وضع مزدهر للفعالية في الفنون والعلوم.

إن الفنون والعلوم تتطلب تربة مناسبة لنموها. والمجتمع الاشتراكي هو بالطبع أكثر مناسبة لمثل هذا النمو من المجتمع الرأسمالي، لكننا لا زلنا نجد أموراً في مجتمعنا تعوق نمو الفن والعلم، أموراً مثل الجمود العقائدي، والإنعزالية، وأساليب بيروقراطية في العمل مثل «الآمرية» أو التعالي في معالجة الشؤون الفنية والعلمية. إن هذه الأمور هي التي تعوق الفطانة، والطاقة الخلاقة وإبداع الفنانين والعلماء، وتمنع أعمالهم من أن تحوز على التشجيع والمساندة التي تستحقها.

إن كثيراً من علمائنا وفنانينا كانوا، بعد سنين من التثقيف الذاتي، قد بدؤوا في طرح أغلال وجهة النظر البرجوازية الى العالم، ولكنهم الآن يجدون أنفسهم مقيدين بدرجة صغيرة أو كبيرة بأغلال جديدة – أغلال الجمود العقائدي. وفقط حين يحرر مثقفونا أنفسهم من هذين النوعين من الأغلال، يستطيعون أن يبلغوا مستوى أيديولوجياً جديداً، ويمكن لإبداعهم أن يتطور بصورة تامة.

وقد منحت سياسة «لتتفتح مائة زهرة، ولتتنافس مائة مدرسة» زخماً جديداً لإبداع مثقفينا. وقد وضعت قيمة عظيمة على التفكير المستقل والتحليلات الموضوعية، وينبذ مثقفونا الأكسية القديمة كما انهم يتحررون من عادة السير عمياناً في الدروب الفاخرة البهرجة والتنسيق. إنهم موَطّدو الأقدام فيما يعتقدون انه صحيح، وهم يجيبون برفض قاطع للأفكار والنقدات التي لم تُشَد جيداً، أياً كان صاحبها، وهم يفضحون وينتقدون بجرأة الأمور غير المرغوبة في حياتنا.

إن الفن والعلم فعاليتان إبداعيتان رفيعتان. وإن أنصارهما بحاجة الى شجاعة لصياغة نظريات جديدة ووضع أفكار جديدة. وانه لصحيح تماماً إننا نظهر جرأة أكثر من ذي قبل، ولكن الإبداع والشجاعة لا يستطيعان لوحدهما إبداع أعمال كبيرة في الفن والعلم، إننا لا نزال نحتاج الى العمل الشاق الشريف. فالفنان، مثلاً، يحتاج خبرة واسعة بالحياة ومستوى عالياً من المهارة التعبيرية، والعالم يجب أن يمتلك قدراً واسعاً من الإحصاءات تحت تصرفه، وأن يتبع طريقاً صحيحاً في التحقيق.

والإنجاز المحسوس جداً منذ إتباع هذه السياسة هو ان فنانينا وعلماءنا قد أصبحوا أكثر حذقاً في عملهم من ذي قبل.

وقد أثبتت هذه السياسة إنها الطريق الفعال لتعبئة كل ما هو خير وإيجابي في عالم الفن والعلم لخدمة القضية العامة للثقافة الاشتراكية. على انه من المحتم إن أموراً غير مرغوبة معينة سَتُحصَد مع الحاصل. ونحن نستطيع أن نرى مسبقاً إنتكاس المثالية في الدراسات الأكاديمية، وفي الإتجاهات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة في الفن والأدب وفي الميل نحو تناول كل تراثنا الثقافي من غير أن نُظهِر الحصانة الكافية في التمييز. ولكن ليس ثمة سبباً لأن نفزع بسبب ذلك. فإن هذا النوع من الأشياء محتم الحدوث.

إن الأفكار المتباينة ووجهات النظر المختلفة محتمة الوجود طالما كانت الظروف الإجتماعية المعقدة موجودة، والتي لا تكون تلك الأفكار إلا إنعكاسها.

ويجب أن نكون مطلعين تماماً على حقيقة أنه في ظل ظروفنا الإجتماعية، فإن العوامل الإيجابية هي العوامل القائدة دائماً، والسائدة دوماً، وإنه بمعونة سياسية صحيحة فإن بعض جوانب العوامل السلبية يمكن أن تتحول الى عوامل إيجابية. فمثلاً، إن كثيراً من التراث الثقافي، المكتوب في العهود الإقطاعية والرأسمالية، يمكن أن يوجه بوعي ليصبح جانباً من تراثنا الحديث مظمناً حاجات الشعب. أما ما يترك كحثالة فسيموت بصورة طبيعية. وحتى فلسفة المثالية تمدنا ببعض الأشياء المنطقية التي يمكن أن تُتَّبَع. إننا نعرف إن الحقيقة لوحدها هي التي تستطيع أن تنمو من النضال ضد الخطأ. وليس الشيء الحقيقي، والجميل، والطيب بالأمر الوحيد الذي يجب أن نقدمه أمام الشعب، بل إننا يجب أن ندعه يرى ويفهم الشيء الزائف والقبيح والسيء. يجب أن لا نحاول أن نمنع الشعب من رؤية الجانب المعاكس من الأشياء، بل إننا يجب أن نساعدهم على رؤيته في ضوئه الحقيقي: لتمييز الصحيح من الخطأ، والجَمال من القبح، والطيب من السيئ.

إننا نستطيع أن نضع ثقتنا في قوة فراسة الشعب، في قوة المادية والحقيقة. وفي الوقت نفسه ينبغي أن نفعل أفضل ما لدينا لإعانة الشعب ليشحذ إدراكه الحسي وبصيرته ويحصن قوة الحقيقة في نضاله ضد الزيف والخطأ.

س: هل تتصور اننا في خلال الأشهر القليلة الماضية، قد أنجِزَت تماماً هذه السياسة؟ فإن كان لا، فما الذي لا يزال يقف في طريق إنجازها الكلي؟

ج: «لتتفتح مائة زهرة، ولتتنافس مائة مدرسة» هي سياسة طويلة الأمد للحزب. وأمر ما اذا كنا قد عملنا الكفاية لإنجازها لا يمكن أن يثار ببساطة. إننا مهما فعلنا فلن نكون قد عملنا ما يكفي في هذا الإتجاه.

فحتى في المجتمع السوفيتي، حيث سيكون لِأكثرية الشعب أفكار شيوعية، سوف تبقى تصادمات للأفكار في العالم الأكاديمي ومنافسة بين الأساليب المختلفة ومدارس الفن. وكثير من المبادئ القديمة في العلم ستتبدل بمبادئ جديدة. إن الفن والأدب سيعانيان عملية دائمة في التجديد. والتناقضات بين الصحيح والخطأ، بين المتقدم والمتأخر هي أزلية: وانها سوف لا تموت ما دامت الحياة البشرية موجودة. ولكن في المجتمع الشيوعي سينبذ الشعب تدريجياً بقايا الأيديولوجية البرجوازية، والتمييز بين العمل اليدوي والعمل الذهني سيختفي تدريجياً، وسيكون لكل أحد رصيد جميل من المعرفة العلمية والقدرة الفنية، أما إحتكار المعرفة فسيكون أمراً مستحيلاً. وفي وقت كهذا فإن إنجاز سياسة «لتتفتح مائة زهرة ولتتبار مائة مدرسة»، سيفترض، طبيعياً، مظهراً مختلفاً كلياً. ولكن ذلك يبدو جميلاً جداً وراء حجب المستقبل، وإنني لأعتقد انه تكاد تنعدم الحاجة لمناقشة ذلك الآن.

ما الذي يقف في طريق إنجاز هذه السياسة الآن؟ من وجهة النظر الأيديولوجية ثمة أمران رئيسيان: الجمود العقائدي «اليساري»، والإنتهازية اليمينية، وكلاهما ينبعان من تفكير ذي جانب واحد.

إننا نؤمن بالمادية الماركسية، وفي حقل الثقافة نلتصق نحن بمبدأ خدمة الشعب العامل. على ان العقائديين الجامدين والإنتهازيين يعتبرون ذلك مناقضة لسياستنا «لتتفتح مائة زهرة، ولتتنافس مائة مدرسة».

فبالنسبة للعقائديين الجامدين، تبدو هذه السياسة متناقضة مع الماركسية، والمادية، ومبدأ خدمة الشعب العامل. وفي أحسن الأحوال، يقدم هؤلاء بعض الخدمة الظاهرية مما يشبه تبديل ستائر النوافذ. أما في الحقيقة، فهم مشككون بهذه السياسة، بل إنهم ضدها.

وفي الطرف الآخر «يرحب» الإنتهازيون اليمينيون بهذه السياسة. على انهم «يرحبون» بها لأسباب تتعلق بهم. فهم قد سئموا منذ زمن الماركسية، والمادية، ومبدأ خدمة الشعب العامل، وهم يعتقدون ان هذه السياسة الجديدة تمنحهم الأحقية لأن يطرحوا كل «مشحونات» الماركسية، خدمة العمال والفلاحين والجنود الخ، كما لو انها كانت «جموداً عقائدية» أو «إجتماعية سوقية» والتي يجب أن يُتَخَلَّص منها إن أريد للسياسة الجديدة أن لا تفشل ظاهرياً وهم يَبدون مساندين للسياسة الجديدة، ولكنهم في الحقيقة يحطمونها – بإنتزاع جوهرها الحقيقي ونبذه خارجاً.

وكلا العقائديون الجامدون والإنتهازيون يحاولون أن يبينوا ان الإعتراف بالإنجازات وتصحيح الأخطاء شيئان متناقضان تماماً. والإختلاف الوحيد بينهم هو ان العقائديين الجامدين يريدون فقط أن يسمحوا للشعب بتقدير إنجازاتنا على أن لا ينتقدوا أخطاءنا. وفي الجانب الآخر ينتقد الإنتهازيون أخطاءنا في الوقت الذي يحاولون فيه مسح كافة إنجازاتنا.

أما نحن، فعلى العكس، نعتقد إننا بينما نُبَسِّط الماركسية للشعب، ينبغي علينا أن نمنح النفوذ لسياسة «لتتفتح مائة زهرة، ولتتبارى مائة مدرسة». يتوجب أن نتفهم وأن نثبت إنجازاتنا، ولكن في الوقت ذاته يجب أن نصحح، بلا مصالحة، أخطاءنا.

وفي موضوع النضال الأيديولوجي يقترف «اليساريون» خطأ عدم إستعمال الإقناع، بل اللجوء الى القمع. إنهم لا يتفهمون الأمور، ولكن فقط يصدرون الأوامر، انهم لا يقودون الناس بصبر لتقبل الماركسية بإرادتهم الحرة الخاصة، بل يحاولون أن يزهقوا الماركسية في بلاعيمهم. وفي الجانب الآخر، يقترف اليمينيون خطأ الهجر الكلي للعمل الثقافي في الماركسية، ويتصالحون، ويسمسرون، أو حتى يستسلمون للأفكار البرجوازية.

ولذلك، ففي إنجاز سياستنا، يجب أن نناضل ضد كلا الجمود العقائدي اليساري والإنتهازية اليمينية.

س: ماذا تعتقد في المقالة: «وجهات نظرنا في الأدب والفن المعاصرين» لشين شي – تنغ وثلاثة رفاق آخرين وفي المقالة «مناقشات في السينما» لمعلق وين وي باو (لتراري غازيت)؟

ماذا سيعني نقد هذين المقالين في إنجاز سياسة «لتتفتح مائة زهرة، ولتتنافس مائة مدرسة»؟

ج: إن مقالة شين شي - تنغ ورفاقه الثلاثة قد أكدت موضوع انه في جبهة الأدب والفن يجب أن نتمسك بقوة بسياسة خدمة الاشتراكية والشعب. وهي كذلك أوضحت بعض المظاهر لفننا المعاصر وأدبنا، تلك المظاهر التي تستحق إنتباهنا. وهذا كله خير ويجب أن نقوله قدر ما نستطيع. على ان هذه المقالة تحتوي أخطاء كثيرة مهمة.

ففي الدرجة الأولى، يعطي كاتبوها تقديراً غير صحيح لفننا وأدبنا منذ إعلان سياستنا الجديدة. إنهم عميان أمام الجانب المشرق للأشياء – والذي هو، من دونما مزيد قول، الجانب الرئيسي –، وقد بالغوا كثيراً وضخموا الجانب السلبي للأشياء – والذي له أهمية ثانوية ولا يمكن تطبيقه إلا في حالات منفردة قليلة.

ثانياً، إنهم لا يقدمون تحليلات صحيحة أو نقداً جيد الهضم لهذه الأشياء التي، يقولون عنها، إنها جانب من النتائج السيئة لهذه السياسة. وفضلاً عن ذلك، فإن بعض الأشياء التي يعلنونها على إنها «مشوهة» هي في الحقيقة، ليست مشوهة أو إنها على الأقل ليست مشوهة بالقدر الذي يزعمونها. خذ، مثلاً، مناقشة الواقعية الاشتراكية، وإحياء وإعادة طبع الدرامات التقليدية، والتزايد في الهجائيات والقطع الأدبية التي تعالج الحب والحياة العائلية، فأنت لا تستطيع أن تدعو كل ذلك «مشوهاً». إنه لحقيقي ان هناك بعض الأشياء المشوهة نسبةً لبعضهم، لكنها، بصورة رئيسية، صحيحة ومساهمات إيجابية في فننا.

ثالثاً، إن الطريقة التي ينتقدون بها الأفكار التي يعتبرونها خاطئة ليست هي المجادلات المعقولة، إنها فظّة ومبالغة في التبسيط. وفي الوقت الذي نفعل كل ما لدينا لنتحرر من العقبات التي عرقلت إنجاز سياسة «لتتفتح مائة زهرة، ولتتنافس مائة مدرسة»، لنشجع الشعب على «التفتح» وعلى «التنافس»، فإن هذه المقالة، في الحقيقة، تربك طريقنا.

إن الأمثلة المبينة في المقالة تعطي الإنطباع ان ثمة كثيراً من الأمور غير المرغوبة قد ظهرت خلال الوقت القصير، لما يزيد على الستة أشهر بقليل بعد إعلان السياسة الجديدة، ووجدت تعبيراً لها في فننا وأدبنا لدرجة انها «لطخت وجه لغة عصرنا وشوهتها». إن الإستنتاج المنطقي والذي لا مناص منه، الذي تقود إليه هذه المقالة هو نبذ هذه السياسة.

أما السؤال الملح الذي يواجهنا فهو «هل سنتابع هذه السياسة أم سننهيها؟» وما دام هؤلاء الكتاب قد بدؤوا بمقدمات خاطئة فقد إنتهوا بجواب خاطئ.

إن السبب الذي يجعلهم يقترفون هذا الخطأ الكبير هو انهم متحزبون في تثمين الفن والأدب المعاصرين، انهم يرون الأشياء خلال خلال نظارات عقائدية جامدة، أما طريقة تناولهم الموضوع فهي الإنعزالية.

ولئن كنا مسوغين أن نقول إن هذه المقالة تعكس الإتجاهات العقائدية «اليسارية»، فليس ثمة، إذن، شك في ان المقالة «مناقشات في السينما» هي تعبير عن الإنتهازية اليمينية. إن المعلق الذي كتب هذه المقالة في وين وي باو هو نفس الذي كتب، تحت الإسم المستعار، شو شو – شو، المقالة «من أجل التقدم»، في وين وي باو في 4 كانون الثاني. فإن هذا الرفيق قد إحتفظ بتماس رشيق وثيق، بصناعة الفيلم، وإنه كان يمكن أن يكون عوناً كبيراً لو إلتصق بجانب التعقل والتفهم، ولو نبش بالرفش ولو إنتقد بعناية وإحكام الأخطاء والنقائص في عملنا الفيلمي. إنه لمؤسف حقاً إنه لم يفعل ذلك. والمقال، بهذه الحالة، تبدو نقداته سلبية سامة، وإنكاراً تاماً لكافة إنجازات السينما الصينية منذ التحرير.

فبناءً على قوله، فإن فننا الفيلمي لم يكن لديه أي خير ليقدم، مُبتَدِئاً من أساليب الإنتاج ومنتهياً بمحتوى أفلامنا. وإنه ليُظهِر إننا كلما أكدنا مبدأ خدمة الشعب العامل، كلما كان جمهورنا قلة! وكلما قويت القيادة التي تقدم، كلما كان عملنا أكثر فوضى. طبعاً، إننا يجب أن ننظر لحقيقة ان أفلامنا تطمن ذوق جماهيرنا، وان عمال الفلم يجب أن يكرسوا إنتباهاً جدياً لحقيقة ان بعض أفلامنا أثبتت إنها غير شعبية، ولكن كاتب هذه المقالة يضع هذه الفكرة المغلوطة الوضع، وهي إننا يجب أن نحكم على قيمة أفلامنا بنجاحات شباك تذاكرنا. إنه يؤكد ان إيصالات شبابيك التذاكر فقيرة. فقبل كل شيء، إن ذلك إستغلال لحقيقة محابية لإغماض كل الحقيقة، وثانياً، بالرغم من اننا نريد، بالطبع، أن تكون أفلامنا شعبية، فنحن لم نكن مشعوذين في تعقب لا مبدئي لمدخولات شباك التذاكر. إننا نكرس دائما إنتباهاً متزايداً لقيمة الأفلام الثقافية.

وبالتأكيد على «المدخول» والدفاع عن «التقاليد» القديمة للأفلام الصينية (والتي ينبغي، من دونما سؤال، إحتِرامَها)، فإن كاتبنا قد مسح ببساطة، وبضربة واحدة مبدأ خدمة الشعب العامل. وإن مَضَت مثل هذه الفكرة الخاطئة بلا محاسبة، فثمة الخطر ان سينمانا ستقاد الى الوراء في طريق الرأسمالية.

إن كاتبنا، في الحقيقة، يهتف بصراحة بهذا الشعار: «دعونا نرجع»! إن ذلك لا يبدو إتفاقياً. فإن مثل هذه النظرية اليمينية الإنتهازية في «الرجوع» مضر بالتأكيد.

والإنتقادات التي قُدِّمَت ضد هاتين المقالتين مصممة لتحريرنا من نوعين من التفكير المحابي. فنحن ننتقد التشويهات لسياسة الحزب من اليمين و «اليسار». وإن مثل هذه الإنتقادات مهمة جداً في تحقيق سياستنا، «لتتفتح مائة زهرة، ولتتنافس مائة مدرسة»، وفي وضع تفكيرنا على مستوى جديد عالٍ.

س: ما هي تعليقاتك على المناقشة في السينما التي حملتها جريدة وين وي باو؟

ج: إنني لَأعتَقِد إن وين وي باو قد قدمت خدمة نافعة بتنظيمها مثل هذه المناقشة. فنحن لا تزال لنا تلك النقائص والأخطاء في عملنا الفيلمي، وإن ذلك حقيقة. وحتى قبل الشروع في المناقشة، فإن تلك الأخطاء كانت قد لوحظت من قبل المسؤولين في

العمل الفيلمي، وقد أتُّخِذَت خطوات مناسبة لعلاجها. وعلى أية حال، فقد خدمت المناقشة في إعطاء زخم لِإنجاز الإصلاح.

إن كثيراً من الآراء التي عبر عنها عمال الفيلم الصيني ونُشِرَت في جريدتكم كانت طيبة. لقد كانت تفضح التقصيرات، وتضع إصبعاً على المعضلات في العمل الفيلمي وتقترح تحسينات عملية. وبالنسبة لبعض الآراء الخاطئة التي عبرت عنها المناقشة، ما دام ذلك مناقشة، فقد كان متوقعاً فقط أن الآراء المختلفة، الصحيحة وغير الصحيحة، سيعبر عنها وانه حتى في الآراء التي عبر عنها أي أحد ستكون ثمة جوانب صحيحة بالقدر الذي تكون فيه جوانب غير صحيحة. وليس ثمة أي شيء غريب في ذلك. فنحن لا نستطيع توقع أن تكون كل الآراء في كل مقالة منشورة في الجرائد صحيحة. والآراء الصحيحة أو الصحيحة نسبياً يمكن فقط أن يوصَل إليها كنتيجة لمناقشة حرة وعميقة.

س: ماذا كنت ستقترح من أجل أن يُكسَب أوسع النفوذ لسياسة «لتتفتح مائة زهرة ولتتبارَ مائة مدرسة» ... كيما يقود الى أعظم الإزدهار في الفن والأدب والعلم؟

ج: كثير من الأشياء يجب أن يُعمَل:

فقبل كل شيء، يجب أن نقهر هذا الجمود العقائدي «اليساري»، والإنتهازية اليمينية، لأنهما العقبتان الرئيسيتان في طريق تحقيق هذه السياسة. وقد كنت قد أشَرت مسبقاً ببعض التفصيل لذلك، عبر أجوبتي الأخرى.

ثانياً، يجب أن نحسن عملياً دراسة الماركسية بين المثقفين ونساعدهم في تقوية روابطهم بالشعب العامل. وهذا الإنجاز التام لهذه السياسة سيمكن المزيد من المثقفين لِتَقَبُّل والإيمان بالماركسية بطريقة واعية وإختيارية، وسيشجع أولئك الذين إكتسبوا فكرة خاماً عم وجهة النظر الماركسية للعالم لأن يحسنوا أكثر فأكثر فهمهم وأن يتمموا نظريتهم بصورة أكثر فعالية، وأن يطبقوا بإبداع ويطوروا الماركسية. إن علماءنا قد خططوا، كبداية، خطة إثنتي عشره سنة لتطوير العلوم الطبيعية، والعلوم الإجتماعية والفلسفية، وقد خطط كُتّابنا خططاً للمضي في أعماق الشعب وخططاً

لعملهم. وإن الحزب والحكومة سيفعلان كل ما يستطيعان لمساعدتهم في تحقيق خططهم.

ثالثاً، ينبغي أن نطور قيادة الحزب في الفنون والعلوم. ولأجل تجهيز قيادة طيبة يجب، بالدرجة الأولى، أن نعتمد على الفنانين والعلماء وأن نتعاون معهم بشكل وثيق. يجب أن نوفر الثقة فيهم وأن نستشيرهم في مختلف الأمور في المواضيع التي يختصون بها. وفي الوقت ذاته، ينبغي على أولئك الذين هم في المراكز القيادية أن يتعلموا إدارة مقومات عملهم فيما يخص الفن والعلم.

ولِأجل من هم منا في المراكز القيادية، فالشيء المهم جداً هو التعلم. ينبغي أن نتعلم من الفنانين والعلماء، لأنه في المعنى الحرفي، هم يمتلكون معرفة أحسن وأدسم منا. ونحن لا نستطيع أن نريح الضمير بالقليل الذي نعرفه الآن. وحينما نمتلك إيماءة للمعرفة، فإننا يجب أن لا نتظاهر للشعب «إننا نعرف»، وأن لا نكون وارمي الرؤوس.

إن لكثير من فنانينا وعلمائنا الثقة في حزبنا، وهم مستعدون لقبول قيادة الحزب. ولكنهم يكنون كرها بالغاً للذاتية، والإنعزالية، والبيروقراطية في القيادة. فإذا إستطعنا فقط أن نقهر الذاتية، والإنعزالية، والبيروقراطية، فإن ذلك سيجعل طريقنا سهلاً. وهذا صحيح في كل الأمور، ولا إستثناء للعمل في الفنون والآداب عن ذلك.

(من جريدة وين وي باو، 9 نيسان 1957)

وجهات نظرنا حول

الأدب والفن المعاصرين

شين – شي – تنغ. شين – يا – تنغ. ما – هان – بنغ ولو – ليه

قليل منا نظر الى الوراء – ونحن نحتفل بالعام الجديد – ليتطلع الى الإنجازات الأدبية والفنية خلال عام 1956. إننا نقر بأن القرار الذي أصدرته اللجنة المركزية للحزب – لتتفتح مائة زهرة ولتتنافس مائة مدرسة – قد فتح مسالك جديدة وكان حافزاً قوياً لأدبنا وفننا الاشتراكيين ووسع مجاليهما كثيراً. لقد سر كل الكتاب والفنانين سروراً عظيماً بهذا القرار. ومع ذلك فإننا نعترض على بعض الآراء التي عُرِضَت في مجلات أدبية وفنية معينة ونرغب في أن نناقشها بصراحة. ونحن وإن كنا لم نمحص آرائنا بدقة ولم يكن لدينا الوقت الكافي لكي نلح في التحليل النظري فإننا نثير بعض الأسئلة – نرمي سمكاً صغيراً لنصطاد حوتاً – مدفوعين الى ذلك بشعورنا بالمسؤولية نحو الفن والأدب الاشتراكي.

وقد تناقص بإطراد خلال العام الماضي عدد الذين كتبوا لدعم الإسلوب القائل بأن الفن يجب أن يخدم العمال والفلاحين والجنود وأن يدافع عن الواقعية الاشتراكية بإعتبارها الوسيلة الصحيحة للكتابة الخلاقة. ويعتقد البعض اننا نقيد أنفسنا تقييداً غير عادل إذا إقتصرنا على معالجة شئون العمال والفلاحين والجنود فقط ويقترحون بديلاً عن هذا الإتجاه شعار الكتابة في موضوعات شتى متفرقة وواسعة. في حين يعتقد الآخرون انه ما دام قطرنا قد إبتدأ بمرحلة البناء الاشتراكي الجديدة فعلينا أن نركز كل جهدنا حول شعار «لتتفتح مائة زهرة ولتتنافس مائة مدرسة» لا حول خدمة الجماهير. ومع ذلك فهناك من يقول انه ما دامت الواقعية الاشتراكية ليست إسلوب الكتابة الوحيد فعلينا أن لا نصر على هذا الإسلوب وحده. ويشك البعض حتى في شرعية الواقعية الاشتراكية التي آمنا بها دائماً، والتي أنجزنا بهديها أعمالاً طيبة كثيرة. وأكثر من هذا فان هؤلاء يدعون تفسيرنا للواقعية الاشتراكية

بالدوغمائية[11] ويَدَّعون بأنها قيد يعيق فننا ويُنتِج الإصلاحية والقولبة[12]. لذا فهم يقترحون أن نتخلص من «الواقعية الاشتراكية» وأن نحافظ على «الواقعية» فقط وأن نستعيض عنها بالتعبير الغامض «الواقعية في المرحلة الاشتراكية».

إننا نعتقد إن هذه الإتجاهات الشكوكية والسلبية هي نتاج أفكار البرجوازية الصغيرة. إن القرار الجديد للحزب يسمح ببقاء مختلف الآراء والأساليب في الكتابة ولكن كُتّاب وفناني الحزب أنفسهم يجب أن يهتموا بخدمة العمال والفلاحين والجنود وأن يدافعوا عن طريقة الواقعية الاشتراكية ولو لم يكن هناك إجماع على إعتبار هذا صحيحاً لكنه بالنسبة لنا الطريق الصحيح الوحيد وحتى تحت ظل شعار «لتتفتح مائة زهرة ولتتنافس مائة مدرسة» علينا أن نتمسك بمبادئنا وبدلاً من أن نبقى ساكنين إزاء محاولات المتشككين لتبرير مواقفهم أو ترجيح آرائهم علينا أن نرفع شعارنا عالياً وأن نُثَبِّت أقدامنا ونكافح في سبيل معتقداتنا وإلا كان هناك معنى قليل في تنافس المدارس المختلفة وستعاني القوى الاشتراكية في الأدب والفن تراجعاً تاماً بمحض إرادتها المجردة.

لقد خضنا خلال العام الماضي معركة واسعة ضد الإصلاحية القولبة وحصلنا على نتائج طيبة. وكان هذا إنجازاً إيجابياً. فالإصلاحية والقولبة يجب أن تُعارَض لأنها تُخَدِّر مقدراتنا وتُضعِفَنا ككُتّاب وفنانين. ولكن بعض الناس بسبب الحاجة الى نوع ما من التعبير البسيط، أصبحوا يتخذون من الكفاح ضد الإصلاحية والقولبة حجة لمعارضة وجهة نظرنا القائلة بأن الفن يجب أن يخدم هدفاً سياسياً وأن يكون ذا مضمون نظري رفيع ومُثَقِّفاً للجماهير. وهم يقرنون بوعي وبغير وعي الإصلاحية والقولبة بالكفاح السياسي. وعلى هذا فأي كلام حول المضمون الإيديولوجي للأدب وأي تحليل للقيمة الثقافية لعمل ما من وجهة النظر السياسية وأية معالجة لموضوع ذا قيمة سياسية كبرى يوصَم من قبل هؤلاء بالإصلاحية والقولبة. فينتج عن ذلك إن بعض المؤلفين أصبحوا يخافون الكتابة حول مواضيع تعكس حقيقة الصراع السياسي الكبير القائم الآن. وإن النزر اليسير منهم يدافع عن

11 - أي التمسك بالعقيدة الجامدة (المترجم).

12 - Formulism & Schematism.

حق إختيار مواضيع كهذه. وقد حلت الكتب التي تعالج الشئون المحلية التافهة والقضايا العاطفية والمثيرات محل المؤلفات الروائية والدراما والأشعار التي تصف التبدلات الإجتماعية الهائلة وحرب التحرير والأبطال الذين حازوا الإحترام هذه الكتب التي تستطيع تثقيف وإلهام القرّاء. وقد أضعف هذا الروح الكفاحية لفننا وأدبنا وأدى الى تلويث مظهر هذا العصر وطمس صوته والى إلقاء الظل على بهاء الإنجاز الاشتراكي في الأدب والفن بدلاً من أن يعكسه – وقد بلغت الأمور حداً جعل بعض الكتاب يَفقِد كل القيم التوجيهية ولم نعد نرى في مجلاتنا سوى أعمال قليلة جداً تتعلق بالمواضيع ذات الأهمية القصوى الخاصة بجلال الإنجاز الاشتراكي في حين إزدادت الهجائيات المليئة بالسخط والتثبيط. من الطبيعي إننا بحاجة الى الكتابات الهجائية ولكننا اذا لم نرسم حداً فاصلاً واضحاً بين تعزيز الاشتراكية وبين مهاجمتها فإن هجائنا سيكون غير مضبوط ووحيد الجانب ومؤذياً. إننا نعارض الإصلاحية والقولبة ولكن علينا أن نفرق بينها وبين المضمون الأيديولوجي للأدب والفن. علينا أن نميز بينهما وبين نقص النهاية الفنية والختام الخاطئ وإلا عارضنا كل شيء مهملين المضمون السياسي ومتخلين عن رغبتنا في وصف الصراع السياسي الرئيسي الموجود الآن غائصين في الأوصاف التافهة السوقية في حياة بعض الأفراد وعواطفهم الفردية. إن تقليص المضمون السياسي سوف لا يقودنا الى إستئصال الإصلاحية والقولبة فعلى الكاتب أن يكون ذا عقائد سياسية قوية وشعوراً بالمسؤلية تجاه قرائه.

ولا يُنكَر ان نداء «مائة زهرة» قد أوجد بعض الزهور المبهجة هذا العام، لكننا نرغب أن تتفتح كل الزهور لا صنفاً واحداً فقط. وإن أهم وأول ما نرغب به هو زهرة الواقعية الاشتراكية الجديدة التي تنبعث من تربة حياتنا الجديدة. ومن هنا تنبعث المشكلة. منذ صدور النداء الجديد أنفق كثير من الكتاب أوقاتهم كلها في التصيد بين دفات الكتب القديمة معيدين نشرها أو حتى في إجراء بعض التبديلات الطفيفة في كتاب من كتبنا الكلاسيكية الثمينة ثم نشره بعد وضع أسمائهم عليه ليحوزوا على الشهرة أو الربح.

يجب علينا طبعا أن ندرس تراثنا القومي ونطوره وإن فهارسنا يجب أن يزداد غناها بهذه الوسيلة. ولكن علينا أن لا نفكر بأن هذه هي كل زهورنا أو هي أحسنها. بل على النقيض فإن عملنا الرئيسي يجب أن ينصب على خلق زهور اشتراكية جديدة على أسس فننا القومي. إن الزهور القديمة لا تتبدد ولكن الجديدة ذات حيوية أكثر، وإنه لمن غير الطبيعي، بكل تأكيد أن نركز على القديم على حساب الجديد بدلاً من أن نركز على الجديد لكي يزهر. إن واجبنا الرئيسي هو أن نحافظ على وننمي براعم جديدة وأن ندع الزهور الجديدة تتفتح. وقد تبدو هذه أقل جاذبية في البداية لإفتقار ألوانها الى الحيوية وأوراقها للزينة ومع ذلك فلا تزال لهذه البراعم حيوية كما إنها ستبقى أملنا الأعظم.

هذه بعض النقاط التي خطرت لنا ونحن نعيد التفكير في عام 1956 وإننا نقدمها بصراحة للبحث العام.

[عن جريدة الشعب اليومية 7 كانون الثاني 1957]

بعض التعليقات حول وجهات نظر

شين - شي - تنغ والآخرين

[شيت - لياو]

قرأت الموضوع الذي نشر تحت عنوان «وجهات نظرنا حول الأدب والفن المعاصرين» لشين شي – تنغ وشين – يا – تنغ وما – هان – بنغ ولو – ليه. في جريدة الشعب اليومية عدة مرات وبإهتمام عظيم. وإني أرى إنه يتضمن آراء كثيرة ذات نفع للكتاب والفنانين في الوقت الحاضر - فمثلاً إننا يجب أن ندافع عم وجهة النظر القائلة بأن الفن يجب أن يخدم العمال والفلاحين والجنود وأن نعزز الواقعية الاشتراكية بإعتبارها التناول الصحيح المؤدي الى الكتابة الخلاقة وإن علينا أن ننتج أعمالاً أكثر وأحسن في المواضيع التي تعكس الحياة المعاصرة ونضالاتها. ومع ذلك فإن بعض آرائهم خاطئة لأنها بنيت على جانب واحد الأمر الذي أدى الى التقدير غير المضبوط للكتابة والفن الذي أنتِجا منذ صدور قرار اللجنة المركزية في السنة الماضية «لتتفتح مائة زهرة ولتتنافس مائة مدرسة». فأصبح الموضوع كما يلي: إن بعض الآراء الصحيحة قد أخفقت الى حد كبير في إبراز العقيدة فضلاً عن ان بعض وجهات النظر الخاطئ كان لها تأثير كاسح على المغامرات الجديدة في حقلي الفن والأدب وألقت عليها غموضاً عاماً. هذا ما يجعلني أشعر انه من الضروري أن أناقش بعض النقاط المُثارَة.

تبدأ المقالة بما يلي: «إننا نُقِرّ بأن القرار الذي أصدرته اللجنة المركزية للحزب – لتتفتح مائة زهرة ولتتنافس مائة مدرسة – قد فتح مسالك جديدة وكان حافزاً قوياً لفننا وأدبنا الاشتراكيين وقد وسع مجاليهما كثيراً». ومع ذلك فإن هؤلاء الرفاق عندما قاموا بتقدير أدبنا وفننا الحديثين قد توصلوا الى عدد من النتائج التشاؤمية التي لا تتفق مع الحقائق. فقد إدعوا بانه «قد تناقص بإطراد خلال العام الماضي عدد الذين كتبوا لدعم الإسلوب القائل بأن الفن يجب أن يخدم العمال والفلاحين والجنود وأن يدافع عن الواقعية الاشتراكية بإعتبارها الوسيلة الصحيحة للكتابة

الخلّاقة .... ونتج عن ذلك ان بعض المؤلفين أصبحوا يخافون الكتابة حول مواضيع تعكس حقيقة الصراع السياسي الكبير القائم الآن. وإن النزر اليسير منهم يدافع عن حق إختيار مواضيع كهذه. وقد حلت الكتب التي تعالج الشئون المحلية التافهة والقضايا العاطفية والمثيرات، محل المؤلفات الروائية والدراما والأشعار التي تصف التبدلات الإجتماعية الهائلة وحرب التحرير والأبطال الذين حازوا الإحترام هذه الكتب التي تستطيع تثقيف وإلهام القرّاء وقد أضعف هذا الروح الكفاحية لفننا وأدبنا وأدى الى تلويث مظهر هذا العصر وطمس صوته، والى القاء الظل على بهاء الإنجاز الاشتراكي في الأدب والفن بدلاً من أن يعكسه .... في حين تزداد الكتابات الهجائية المليئة بالسخط والتثبيط .... منذ صدور النداء الجديد أنفق كثير من الكتاب أوقاتهم كلها في التصيد بين دفات الكتب القديمة معيدين نشرها أو حتى في إجراء بعض التبدلات الطفيفة في كتاب من كتبنا الكلاسيكية الثمينة ثم نشره بعد وضع أسمائهم عليه ليحوزوا على الشهرة أو الربح». هذه هي الصورة التي رسموها للوضع الذي عليه أدبنا وفننا المعاصرين.

ولكن هل الوضع سيء الى هذه الدرجة؟ دعنا نختبر بعض حججهم لكي نقيس مقدار صواب ما ذهبوا إليه:

أولاً – هناك مضمونهم الذي ينص على «التناقص المطرد خلال العام الماضي لعدد الذين كتبوا لدعم الأسلوب القائل بأن الفن يجب أن يخدم العمال والفلاحين والجنود وأن يدافع عن الواقعية الاشتراكية بإعتبارها الوسيلة الصحيحة للكتابة الخلاقة.»

في مطلع السنة الماضية وبعد أن أعلنت اللجنة المركزية سياسة «لتتفتح مائة زهرة ولتتنافس مائة مدرسة»، خَصَّصَت المجلات الأدبية والفنية في كل البلاد مجالاً واسعاً لمناقشة القرار وإستَجابَت له بحماس شديد. وقد عنى هذا حقاً ان ما نُشِر لخدمة الجماهير ولخدمة أساليب الواقعية كان قليلاً إلا انه كان أمراً طبيعياً وحتمياً. لأننا إذا أردنا أن ننفذ هذا القرار فإن علينا أن ننشر الفكرة بأوسع ما يمكن لإزالة الشكوك المختلفة من أدمغة الكتاب والفنانين والعلماء ولكن نُنَحّي جانباً كل

العراقيل التي تقف في طريقه. وعندما يكون هذا القرار قد أحدث آثاراً قوية في كافة أنحاء البلاد فستكون لدينا الظروف المواتية لتطبيقه ناجحاً – لذا فإن مجلاتنا محقة تماماً في تخصيص صفحات أكثر لهذا وأقل – في الوقت الحاضر – للمشاكل الأساسية الأخرى. وليس من حقنا الآن، بعد فترة قصيرة كهذه، أن نقفز الى نتيجة أن عدد المدافعين عن الواقعية الاشتراكية يتضاءل بإضطراد.

في الواقع إستمر الجدال حول الواقعية الاشتراكية بلا هوادة. وقد أجريت دراسات شاملة من قبل الدوائر الأدبية حول مستلزمات هذه الطريقة في الكتابة وعن علاقتها بالواقعية التي وجِدَت في الماضي وعن الإختلافات التي بينها وعن الأساليب المعينة التي يتفوق بها وعن عناصر الواقعية الاشتراكية في أعمال لوسين وبعض الكتاب الصينيين المعاصرين. وإنه لمن الطبيعي أن نجد البعض يشك – في الوقت الذي حدثت فيه هذه الدراسات بحكمة إستعمال «الواقعية الاشتراكية» كطريقة وأن نجد بعضهم يقترح الإستعاضة عن فكرة «الواقعية الاشتراكية» بـ «الواقعية في فترة الاشتراكية» ولكن ما دمنا نريد تنافس مدارس الفكر المختلفة فإن ظهور وجهات النظر المختلفة أمر منطقي وظاهرة طبيعية. وليس هناك حاجة في أن نرتعب من ظهورها. إننا نستطيع أن ننتج بحوثاً مبرهنة ضد وجهات النظر هذه مستخدمين وجود ونمو الواقعية الاشتراكية من أجل دحضهم موضحين وجهات نظرنا بهدوء ونعمل لإقناع القرّاء بأن الحقيقة في جانبنا ويجب ألا نصم رفاقنا بدون إيضاح المبررات أو نقول «إن هذه الإتجاهات المتشككة والسلبية هي نتاج أفكار البرجوازية الصغيرة». إن طريقة إضفاء النعوت على الآخرين لا تَحِل أية مشكلة. فإذا أردنا أن ننقد وجهات نظرهم فإن علينا أن نقوم بمباحثات رفاقية علمية معهم، لا أن نمنعهم عن الكلام.

لدي نفس الأحاسيس حول مسألة ما إذا كان عدد الذين دافعوا عن خدمة الجماهير في تناقص مستمر خلال العام الماضي. نحن لا نستطيع القول بأننا قد دافعنا عن هذه الغاية بما يكفي فقبل فضح ونقض آراء (هو – فنغ) في الأدب والفن كان كثير من الكتاب والفنانين يعتقدون في آرائه الرجعية أو يعطفون عليها.

ولكن ليس من الصحيح القول بأن مؤيدي إتجاه خدمة الجماهير قد تضاءل عددهم فجأة خلال العام الماضي. ولنأخذ مثلاً على ذلك فعندما نوقشت صناعة السينما في الصين خلال شهري تشرين الثاني وكانون الأول من العام الماضي أوضح كثير من الرفاق وهم مصيبون تماماً الى إننا يجب أن لا ننسى إنجازاتنا الماضية في خدمة الشعب كما ويجب أن لا نتوانى عن هذه الغاية في المستقبل. والحقيقة هي أن هناك عدداً كبيراً جداً من الشعب دعا خلال العام الماضي الى إن الفن يجب أن يستهدف خدمة الجماهير – وهذا العدد لم يتضاءل.

ومن الواضح إذن، إن وجهات النظر هذه هي أحادية الجانب وتعسفية ولا تنطبق على الوضع الحقيقي في العام الماضي.

ننتقل بعد هذا الى النص القائل «إن بعض المؤلفين أصبحوا يخافون الكتابة حول مواضيع تعكس حقيقة الصراع السياسي الكبير القائم الآن. وإن النزر اليسير منهم يدافع عن حق إختيار مواضيع كهذه.»

إن هذا النقاش يعكس تذبذباً أوسع، صحيح انه حدث خلال الأشهر الأخيرة توسع في الكتابات المتعلقة بالحوادث المحلية التافهة والمشاكل العاطفية والمثيرات. ولكن علينا أن لا نقفز الى هذه النتيجة بهذه السرعة. ولِأننا إذا تصفحنا (أدب الشعب وأدب جيش التحرير وأدب اليانغتسي وغير ذلك من المجلات لرأينا ان كتَّابنا قد أنتجوا خلال السنة الماضية أعمالاً جيدة كثيرة تعكس الصراع السياسي الأساسي القائم و «ترسم التبدلات الهائلة وحرب التحرير والأبطال الذين حازوا على الإحترام.»

وهناك المضمون القائل «لقد إزداد الهجاء المليء بالسخط والتثبيط.»

وهذا، على ما أعتقد لا تُكَذِّبَه الوقائع الفعلية فحسب بل قد يثبط همة المؤلفين عن الكتابة لأنه من المشروع حقاً أن نعبر عن السخط وقد يشعر الكاتب بعدم الإرتياح للواقع لِأنه يرغب في شيء أحسن. ولكن التثبيط أمر لا يمكن تصوره فإذا أصابت الإنسان «خيبة أمل» بالحياة التي يحياها فإن هذا يثير مسألة هامة: أي إسلوب في الحياة يرغب فيه؟ وعلى هذا فإن نظرة شين – شي – تنغ والآخرين هي في الواقع

نـوع من التهديـد للكتــاب الهجـائيين. وإذا وافقنــا على وجهــة النظــر ببســاطة ولم نعارضها فإنها ستُدَمِّر ثقة وشجاعة كتابنـا سـواء كـانوا محـترفين أو هـواة. ودعـني أقتبس لك قضية أعرفها رغب صديق لي في أن يكتب هجـاء فَلمّـا قـرأ المقـال تخلى عن مشروعه. ومن الطبيعي ان صديقي كان مخطئـاً في إفتراضـه ان وجهـة النظـر قسم ضئيل من أعضاء الحزب تمثل وجهة نظر كل الحزب ومن المسلم به أيضـاً ان جدلاً كهذا ذو تأثير سيء على بعض الكُتّاب.

وقد نشر في العام الماضي الكثير من المقـالات والهجائيـات وعلينـا أن نؤكـد إن هذا شيء باهر وهو يظهـر مـدى الحمـاس الـذي إسـتجاب بـه الكتـاب لنـداء الحـزب وعلينا أن نرحب بهذا ككُتّاب وفنانين حزبيين إن قليلاً من هذه المقالات والهجائيــات كـانت أحاديـة الجـانب ومنحرفـة لأن المـؤلفين لم يسـتطيعوا أن يـروا الغابـة بسـبب الأشجار أو أن يخبرونا عما يحبذونه وما هو بـارز ولكنهم يلعبـون كـل شــيء بـدون تمييز. وقد أساؤوا بهذه الطريقة الى الجيد من الأشياء بقدر ما هاجموا الرديء منهـا وهكذا يعكسون صورة خاطئة للحقيقة. علينا أن ننقد هـذه الأعمـال بإسـلوب عقائـدي وبعيدين عن الرغبة لمساعدة هؤلاء الكتاب. ولكن إصدار تصـريح عـام شـامل على أساس ان «الهجاء المليء بالسخط والمُثَبِّط للعزائم في تزايد» لا يمكن أن يـؤدي إلا الى إرباك كُتّابنا.

وأخيراً فإن هناك تهمة بأن «كثيراً من الكتاب قد أنفقوا كل وقتهم في التصيد بين دفات الكتب القديمة وإعادة نشرها ... »

وعلينا أن نحلل هذه المسألة بجد أيضاً. صحيح انـه منـذ أن صـدر قـرار الحـزب «لتتفتح مائة زهرة ولتتنافس مائـة مدرسة» أخـذ عـدد الكُتّـاب الـذين يتصـيدون بين دفات الكتب القديمة ويعيدون نشرها يتزايد. وهذا يظهر ان الحزب قد علمنا أن نُقَدِّر تراثنا القومي الذي هو بكل تأكيـد ليس شـيئاً رديئـاً. وقادنـا الى تكـييف أوبـرا كنشـو (خمسة عشر خيطا من النقود) وغيرها من الأعمال الباهرة مثل أوبرا سشوان (لثان – شي – ايره) المستندة على مسرحية من عهد سـلالة يـوان. وإني أعتقـد ان إعـادة

نشر الكثير من هـذه الكلاسـيكيات القديمـة البـاهرة أمـر لا يـؤدي الى أي أذى وليس لدينا أدلة كافية لإِثبات ان كُتّابنا كمجموع قد أداروا ظهورهم للحاضر.

والخلاصة فأني أعتقد بأن شين – شي – تنغ وأصدقاءه قد تكونت لديهم وجهـات نظر خاطئة لأنهم إعتَبَروا بعض الهفوات الصغيرة والإنفرادية التي إنبعثت في أدبنا وفننا منذ أن أصدر الحزب قراره العام أخطاء أساسية. وهذا يفسر لنا لِمَ إعتَبَروا مـا يُكتَب الآن «خليطـاً مرعبـاً» وكم أصـبحوا قلقين من جرائـه وفي رأيي إن علينـا أن نتعـرف على هـذه النـواقص ولكن على ألا نبـالغ فيها. علينـا أن نتعـرف على هـذه النـواقص ولكن على ألا نبـالغ فيها. علينـا أن نقـوم بتحليلهـا كمـا يلـزم وأن نكتشـف الإتجاه الرئيسي السـائد الآن. وإني أرى ان الإتجـاه الرئيسـي لأدَبِنـا وفننـا الآن ليس رديئاً بهذه الدرجة. ولقد ذكرتني وجهات النظر التـي عبَّرَ عنهـا شـين – شـي – تنـغ والآخرون بوصف «المرأة التي تسير مترنحة بأقدام مربوطة» التي أوردها الرئيس ماوتسـي – تونـغ في مقالـه حـول (مسـألة التعـاون الـزراعي). وفي خلال السـنة الماضية وبفضل مساعدة وتشجيع السياسة الحزبية إبتدأ كُتّابنا وفنانونا السير بإنتظام أكثر ومع ذلك فإن شين – شي – تنـغ وأصـدقاءه مرتعبـون – ولكن هـذا أمـر غـير واقعي تماماً وخاصة عندما يتقدم أدبنا وفننا هذا التقدم السريع.

[عن مجلة الشعب اليومية 1 آذار سنة 1957]

من أجل إزدهار الأدب والفن الاشتراكيين

إفتتاحية بقلم وين – لي – باون

في المجلة الأدبية 14 نيسان 1957

أن السياسة التي إقترحتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني – لتتفتح مائة زهرة ولتتنافس مائة مدرسة – تطبيق خلّاق للماركسية – اللينينية في الفن والعلم خلال مرحلة بنائنا – الاشتراكي. لأن التطبيق الصحيح والراسخ لهذه السياسة لن يرفع المستوى النظري لمثقفينا الى حد كبير فحسب – بل انه سيدفع أيضاً عملنا وأدبنا وفننا الى آفاق عالية جديدة.

لقد ربحنا ثورتنا الاشتراكية – وإنتهى الصراع الطبقي داخل البلاد ونحن الآن في سبيل بناء مجتمع اشتراكي جديد. إن شعبنا الذي قوى وصلب عوده في نيران الثورة لسنوات عدة عمق وعيه السياسي الى حد كبير. كما إن مثقفينا قد تقدموا أيضاً كبيراً من الناحيتين السياسية والفكرية وقد توحدت الغالبية العظمى منهم على أساس حب الوطن ودعم الاشتراكية. وكنتيجة لسلسلة طويلة من التهذيب والنضالات الأيديولوجية والإصلاحات أصبحت الماركسية – اللينينية المركز الذي يدور حوله عالمنا الثقافي والأكاديمي ويتزايد يومياً عدد الأشخاص الذين يقومون بدراستها. هذا مع العلم بأن عدداً قليلاً جداً من المثقفين إستوعبوا جيداً وجهة النظر الماركسية للعالم في حين لا يزال كثير من المثقفين يحافظون على بعض المفاهيم المثالية وإن كانوا يتحولون بصورة عامة وبإطراد نحو التفكير التقدمي.

«لتتفتح مائة زهرة ولتتنافس مائة مدرسة» وسيلة لنشر الماركسية – اللينينية بين كل المثقفين وبين جميع أفراد الشعب الصيني عن طريق المناقشة الحرة ووسيلة لدعم ولتنمية الأدب والفن الجديدين في المنافسة الحرة الخلاقة. من حق المثاليين أن يتكلّموا وأن الورود التي تعكس كل أنواع التفكير يمكن أن تتفتح. إن الإختلافات في طرق النظر الى الأشياء هي حقائق موضوعية لا يمكن تجاهلها بقرار تنفيذي. إننا نؤمن بالمبادئ الماركسية – اللينينية. فإذا مكنا قبضتنا من هذه المبادئ فإننا سوف

لا نحتاج ويجب أن لا نحتاج الى الخوف من أية نظرية خاطئة، وفوق هـذا يجب أن يكون لدينا إيمان بقابلية الشعب على محاكمة الأمور بصورة صحيحة. إننا نعتقد بأن المبادئ الماركسية ــ اللينينية ستنتشر عن طريـق النقـاش الحـر وأن المنافسـة الحـرة ستؤدي الى إزدهار أكبر للأدب والفن الاشتراكي.

هناك إرتبـاط داخلي بين المضـامين الحـرة في الفن والعلـوم وبين النظريـة الـتي قدمتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي خلال السنة الماضية والمتعلقة بالتناقضـات بين الشعب. إن هذه النظرية هي تطوير خلّاق للماركسية ــ اللينينية. إن التناقضـات بين الشـعب تنعكس في حـيز الفكـر وإن الإختلافـات الحاليـة والمناقشـات بين كتابنـا وفنانينـا هي عبـارة عن هـذه الإنعكاسـات نفسـها. إن إتجـاه المضـمون الحـر يقـدم الطريق الصحيح لحل هذه المتناقضات لأنه إسلوب عالي وبعيد النظر ولِأنـه تطـبيق للحقائق العالمية للماركسية ــ اللينينية على الوقائع الثابتة في بلادنا مـع الأخـذ بنظـر الإعتبار أحوالنا الإجتماعية، والوضع الحالي لمثقفينـا، وقـوانين تطـور العلم والأدب والفن لـذا فمن المؤكـد ان إتجـاه المضـمون الحـر يقـدم الطريـق الصـحيح لحـل هـذه المتناقضات لأنه أسلوب عالي وبعيد النظر ولِأنه تطبيق للحقائق العالمية للماركسـية ــ اللينينية على الوقائع الثابتة في بلادنا مع الأخذ بنظر الإعتبار أحوالنا الإجتماعية، والوضع الحالي لمثقفينا، وقوانين تطور العلم والأدب والفن لذا فمن المؤكد إن إتجـاه المضمون الحر سيكون ذا نفوذ عميق على ثقافتنا.

لم يمضـي سوى تسعة أشهر على إعلان هذه السياسة الجديدة وهذا وقت قليل جداً لا نسـتطيع معـه أن نصـدر حكمـاً على مـدى تأثيرهـا ولكن الأشـياء في عـالم الفن والأدب في فوران مستمر. لقد إزدادت جرأة وثقة الكتاب إزديـاداً كبـيراً كمـا وضـع كثير من الكتب الخطط طويلة الأمل للتغلغل في حياة الشعب وتصـوير كفاحـه، كمـا إن كثيراً من الشعراء والروائيين القدامى الذين كانوا في خمول لسنين عدة قد عـادوا الى أقلامهم ثانية، وتقدم أيضاً عـدد من الكتـاب الشـباب الموهـوبين. لـذا فقد أصـبح يهب علينـا نسـيم جديـد في عـالم الأدب، نسـيم البحث والنقـاش الحـر الـذي يبشـر بالإزدهار المتنامي لتفكيرنا الأدبي.

لم يفهم بعض رفاقنا إن المضمون الحر هو تطوير للماركسية – اللينينية وللثقافة الاشتراكية إلا انهم قد أدركوا أضرار الدوغمائية والإنعزالية وحاولوا أن يخوضوا المعركة ضدها وحسناً فعلوا، إلا إنهم خلال قيامهم بهذا العمل يتخذون موقفاً لا يحتاج معه الإنسان أن يتمسك بثبات بمبادئ الماركسية – اللينينية وبفكرة إن الأدب يجب أن يخدم العمال والفلاحين والجنود فهم يقولون إن العمل الأدبي لا يحتاج الى قيادة من الحزب. كما يعتقدون بأن كل شيء أصررنا عليه في الماضي كان خاطئاً، إنهم يتكلمون عن الماركسية – اللينينية وعن الجمود العقائدي وكأنهما شيء واحد ويخلطون بين موقف الطبقة العاملة الصحيح وبين الإنعزالية. وهم لا يستطيعون أن يروا الطريق المستقيم لأن كل شيء يبدو أسود في نظرهم. فإذا وضعنا، كما يفعلون، الليبرالية اليمينية كترياق ضد المثالية «اليسارية» فإننا نكون كمن يحارب الإنحراف بالتحيز وكمن يكافح الميتافيزيقية بالميتافيزيقية. إن هذا سوف لا يخفق في دحر الدوغمائية والإنعزالية فحسب بل إنه سيعرينا من درعنا الماركسي اللينيني الواقي أمام الأيديولوجية البرجوازية ... إن مثالاً نموذجياً لهذه الإنتهازية اليمينية هو الإفتتاحية التي نشرتها هذه الصحيفة في كانون الثاني الماضي تحت عنوان «نقاش حول السينما» هذه الإفتتاحية التي إنتقدها الجميع بحق.

وقد نشرت جريدة الشعب اليومية في السابع من كانون الثاني مقالاً يمثل إتجاهاً آخر – الإتجاه نحو الإنعزالية، كتبه الرفاق شين – شي – تنغ، شين – يا – تنغ، وما – هان – بنغ ولوليه – تحت عنوان (وجهات نظرنا في الأدب والفن المعاصرين). لقد عبر هؤلاء الرفاق عن فهم خطير للإنتهازية اليمينية إذ وجدوا بين أعضاء الحزب وبين البرجوازية الصغيرة بعض الإتجاهات – أو ما يسمى «أعشاباً سامة» – تظهر في بعض الأعمال الأدبية التي صدرت مؤخراً. وهم يدعون إن هذا نتيجة لتركنا الزهور تتفتح «بحرية مبالغ فيها» ويقترحون تشديد الإشراف على الأمر بصورة سريعة و «الوقوف في أماكننا والقتال من أجل معتقداتنا». لحماية الماركسية وإتجاه العمال والفلاحين والجنود. ومن الطبيعي ان نوايا هؤلاء طيبة ولكنهم بالغوا في أظهار الجانب السلبي للوضع وقدروا حالة الأدب والفن تقديراً

خاطئاً وتشاؤمياً منذ بروز السياسة الجديدة. فهم لم يتحققوا ان المفاهيم البرجوازية والبرجوازية الصغيرة أشياء موجودة قبل وجود سياسة المضامين الحرة. وإن المضامين الحرة لم توجدها وأكثر من هذا فإن هؤلاء الرفاق الأربع قد إستعانوا بإسلوب عقائدي جامد وساذج في معالجة مشاكل التفكير الأدبي. إن هؤلاء الذين أسكرتهم الإنتصارات الماضية والذين نظروا نظرة سطحية للنواقص في عملنا بدون أن ينظروا الى الحاجة الملحة لتحسينها إنما يميلون الى مقاومة التدابير الإصلاحية الهامة التي إقترحها الحزب إنهم يرون إن المضمون الحر الذي إقترحه الحزب لتطوير المبادئ الماركسية والثقافة الاشتراكية أمر ضار للمبادئ الماركسية وللثقافة الاشتراكية أو ان ضرره أكثر من نفعه على أقل تقدير – إنهم ينظرون الى هذا الموضوع من الناحية المظلمة والمتشككة الأمر الذي يؤدي الى عرقلة تطبيقه عرقلة تامة.

ولفرض تنفيذ هذا الإقتراح علينا أن ننفض عنا قيود الجمود العقائدي ونتغلب على التردد وعلى الإنحدار في مهاوي الإنتهازية اليمينية لذا فعلينا أن نشن صراعاً فكرياً على جبهتين.

– 2 –

لقد إشتد الجدل حول عدد من القضايا الأدبية منذ أن تقررت طريقة المضمون الحر. إن هذه المجادلات ضرورية جداً ويجب أن تُشَجَّع لأننا لا نستطيع أن نصل الى أقصى حد من التفاهم المشترك إلا بواسطة هذا النوع من المجادلات فقط. وفي خلال هذه المجادلات صرح بعض الرفاق أنه نظراً لأن سياسة «المائة زهرة» تدافع عن حق الإختيار الواسع في قضية الموضوع فإن كثيراً من الكتاب لجأوا الى كتابة روايات الحب وأقاصيص الحياة العائلية وقد زعم هؤلاء الرفاق ان كلا الموضوعين قد إبتعد بعداً شاسعاً عن نضالاتنا الحالية وان اختيارهما يعني التخلي عن مبدأ خدمة عمالنا وفلاحينا وجنودنا. ويعتقد رفاق آخرون بوجهة نظر معاكسة فتراهم يصرون على ان المبالغة في التأكيد على مبدأ العمال والفلاحين والجنود هو ما أدى الى الإتجاه نحو الكتابة المقبولة والتصفيح مع ما يؤدي إليه من أن أعمالنا قد

حُدِّدَت بمجال ضيق من مجالات الحياة وكان إسلوبها تافهاً وثقيلاً. ويشعر رفاق آخرون بأن الواجب الأول للمؤلف هو أن يكتب الحقيقة وأن ليس هناك حاجة للمغالاة في التأكيد على الغاية من الإبداع. وعلى هذا فهم يتشككون في صواب الواقعية الاشتراكية في حين لا يزال رفاق آخرون يَعتَبِرون هذا الشك شكلاً من الليبرالية وتعبيراً عن التفكير البرجوازي الصغير وإننا نرغب في أن نقدم بعض الآراء البسيطة فيما يتعلق بهذه الأسئلة.

إن القيمة الحقيقية، على ما نعتقد، تعتمد بصورة رئيسية على الفكرة التي يحتويها وعلى إسلوب صياغتها: فهي ليست مجرد قضية موضوع. فالحزب الشيوعي الصيني لم يقترح أية قيود على إختبار الموضوع في أي وقت كان. وفي الواقع فإن الحزب قد أنتقد في مناسبات متعددة وجهة النظر القائلة إن أدبنا يجب أن يصف القضايا الآنية فقط، وأن لا يعالج سوى قضايا العمال والفلاحين والجنود، ومن الخطأ أن نضع إتجاه أدب العمال والفلاحين والجنود في وضع معاكس لحق الإختيار الواسع في قضايا الموضوع تماماً كالخطأ في معالجة حياة العمال والفلاحين والجنود وكأنها شيء معارض لشئون الحب والعائلة ومن الواضح ان عملنا هذا يعتبر أمراً عقائدياً جامداً ولا نتفق أيضاً مع أولئك الذين يخلطون بين قضية الموضوع لأدب العمال والفلاحين والجنود، ومبدأ العمال والفلاحين والجنود تماماً، كما نختلف مع هؤلاء الذين يقولون ان الميل نحو القولبة والتصفيح في الكتابة يعزى مباشرة الى هذا المبدأ. هذه الآراء هي إنتهازية يمينية واضحة.

من المسلم به إن كل الكُتّاب الوطنيين مهما كانت مدارسهم يؤيدون مبدأ خدمة العمال والفلاحين والجنود. إن العمال والفلاحين والجنود يؤلفون الغالبية العظمى لشعبنا. فإذا لم نخدمهم نحن الكُتّاب فَمَن نخدم إذن؟ إن الدفاع عن حق الإختيار الواسع في قضية الموضوع يتفق تماماً مع تعضيد مبدأ العمال والفلاحين والجنود. كما وليس هناك أي تعارض بين حق الإختيار الواسع في قضية الموضوع وبين التشديد على وصف نضالات الشعب. إننا لا نضع أية تقييدات على المؤلفين حول قضية إختيار الموضوع فإذا فَضَّلَ أحدهم أن يتخصص في الكتابة عن العمال

والفلاحين والجنود فإنه يستحق التقدير فإذا كَتَبَ جيداً عنهم فإن هذا سيكون ذا قيمة أكبر لذا فإن كتابة كهذه تستحق التقدير والتشجيع.

إننا نعتقد بأن كل الكتاب من حزبيين وغير حزبيين يجب أن يكونوا أحراراً في إستخدام أي إسلوب خلّاق يرغبون فيه. وإن أية محاولة لفرض أساليب متطورة في الإبداع عليهم بأمر إداري سيكون مصيرها الفشل. إننا نختلف مع وجهة النظر «اليسارية» التي تقول إنه لا يناسب الكُتّاب الشيوعيين في الواقع سوى الواقعية الاشتراكية، وعلى هذا فإذا كان لأي كاتب شك حول هذا الإسلوب فإنه سيهاجم في النهاية سياسة الحزب.

إننا نعارض وجهة النظر اليمينية التي تتضمن ان الواقعية الاشتراكية تساوي الدوغمائية وانها لا وجود حقيقي لها وان الأدب الواقعي الاشتراكي ليس تطوراً جديداً لعالم الأدب وانه ليس هناك فروق أساسية بين الواقعية الاشتراكية وواقعية الأزمنة الغابرة.

إن تفسير الواقعية الاشتراكية قد يكون موضوعاً من مواضيع البحث الأكاديمي ولكن تعريفه بأنه الشكل الأكثر تطوراً للتفكير والصياغة الفنية يكتسح العالم وكأنه مد لا يقاوم. وفي رأينا إنه خير من يسد حاجاتنا الى إسلوب خلّاق يعكس حياتنا وفهمنا لهذه الحياة. فإذا قَبِل كاتب واقعي وتمكن من النظرة الشيوعية للعالم فإن أساليب فهمه للحياة ستتبدل ومن الطبيعي أن يتبدل تبعاً لذلك إسلوب إبداعه الفني وفي النهاية فإنه من المحتمل جداً أن يسلك طريق الواقعية الاشتراكية.

ولا حاجة بنا للقول انه لا يزال أمامنا عمل شاق جدي قبل أن تستطيع الواقعية الاشتراكية التطور في بلادنا تطوراً أوسع، وقبل أن تتكامل، وتغتني وتتوسع في مجال الإبداع الفني. وعلينا في البداية وقبل كل شيء أن نتغلب على التفسيرات الدوغمائية والإنعزالية التي ألصِقَت بها.

والأهم من كل هذا إذا أردنا أن «تتفتح مائة زهرة» وأن تطور أدباً وفناً اشتراكياً يخلق أعمالاً واقعية الى حد كبير في محتوياتها وغنية ومختلفة في أساليبها وأشكالها فإن على كُتّابنا وفنانينا أن يعملوا بجد وأن يمزجوا حياتهم مزجاً تاماً بحياة الشعب.

إن حياة الشعب منبع كل الإبداع. فإذا تركنا هذا المنبع فإننا لا ننتج سوى اللغو. إننا نستطيع بواسطة الإختلاط بالشعب فقط وعمل صداقات معه أن نفهم حقيقة أفكاره وعواطفه وأن تكون لدينا الجرأة الكافية على أن تتكلم بإسمه.

إن لهذه النقطة أهمية خاصة لنا اليوم. فخلال السنوات القليلة الماضية أصبح كُتّابنا قادرين على أن يعيشوا حياة هادئة جميلة كما تحسنت أساليب العمل التي كانوا يعملون بموجبها. وهذا ما ينبغي أن يكون. ولقد رأينا أيضاً كثيراً من الأفراد عاقدي العزم وبضمنهم كثير من مؤلفينا المشهورين وكُتّابنا الجدد، رأيناهم في الحركة ضد العدوان الأمريكي في كوريا وفي جبهتنا الوطنية لبناء الصناعة والزراعة وهم محافظون على أوثق وأطيب علاقة مع الشعب.

ولكن هناك أيضاً بعض الذين فَصَلوا أنفسهم عن الشعب والذين أصبحوا قنوعين وهم الذين فقدت أعمالهم نتيجة لهذا جو العصر، إن إتجاهاً كهذا لا يؤدي إلا الى إضعاف الروح الكفاحية للكاتب وبعثرة حيويته الفنية.

لقد عرف رفاق كثيرون هذه الحقيقة ففي إجتماع عُقِدَ حديثاً دعى إليه إتحاد الكتاب الصينيين وضعوا خططاً طويلة المدى للتغلغل في حياة الشعب وعكس كفاحه، وقد ناقشوا وسائل كثيرة تضمن الإتصال المباشر بحياة الشعب وهذه بادرة باهرة حقاً.

– 3 –

وبسبب سماحنا لكل الأزهار بالتفتح فمن المؤكد ان الاشتراكية والماركسية وكل الورود العطرة ستزدهر. ولكنه أمر لا بد منه أن تنمو بعض الأعشاب السامة أيضاً – للبرجوازية، والبرجوازية الصغيرة، والمثالية – فماذا ينبغي أن يكون عليه موقفنا عندما تنمو الورود والأعشاب سوية في موقف ما؟

كما نعلم ان الماركسية – اللينينية هي علم كفاح يتطور بالكفاح من أجل التغلب على النظريات المعاكسة. الأدب الاشتراكي لم ينزل كهبة من السماء – بل إنه نما وتطور نتيجة لكفاحه ضد الأدب البرجوازي والبرجوازي الصغير المعاكس. إن النمو عن طريق الكفاح هو قانون تطور كل الأشياء الجديدة.

فالتناقضات بين الأشياء الماركسية وغير الماركسية، الاشتراكية وغير الاشتراكية، بين الورود العطرة والأعشاب السامة موجودة وهي مشتبكة إشتباكاً وثيقاً ومغمورة في الحياة نفسها. لذا فعلينا ألا نَحذَر هذه التناقضات أو نغمض أعيننا عنها. إن سياستنا هي أن ننشر مبادئ الماركسية – اللينينية. ونحن نعتقد ان هذه التناقضات يجب أن تقودنا الى كشف حقائق أكثر – انه من واجبنا أن نهيء الظروف التي تسهل هذا التطور الحتمي.

هذا وبسبب كوننا ماديين، فإننا لا نحتاج الى أن ننغمر في أحلام عاطفية حول إمكانية القضاء على الأفكار المثالية والبرجوازية والبرجوازية الصغيرة الموجودة فعلاً بمجرد إصدار أوامر على الورق. إن إسلوبنا هو تطوير المادية والتغلب على المثالية، تنمية الورود إجتثاث الأعشاب، إبدال الأشياء السلبية بالإيجابية عن طريق الكفاح والصراع.

وسواء كان الشيء صحيحاً أو خاطئاً وسواء تفتح البرعم الأخضر عن عشب أو عن وردة فأمر ليس بإمكان الفرد أن يتأكد منه بمجرد إلقاء نظرة عابرة – خاصة في وقت يمتزج فيه الرديء بالجيد. فالمنافسة والنقاش فقط بإمكانهما أن يُحَسِّنا مقدرتنا على التمييز ويمكننا من الوصول الى النتائج الصحيحة.

عندما يظهر شيء جديد في الأفق فغالباً ما يسمى نمواً ضاراً ويُستَأصَل – وسواء كان الدافع لهذا تحيز الطبقات المُستَغِلَّة، أو لنقص قدرة الشعب على التمييز، أو لمجرد قوة التعود. وكم من الأفكار الجديدة والإختراعات والإبداع الخلّاق قد أجهِزَ عليه وحُطِّم في المجتمعات القديمة بهذه الطريقة عينها!! أما في مجتمعنا الحالي فإن سياستنا بأجمعها منصبة على تشجيع نمو هذه الأشياء. ولكننا لا نزال متأثرين الى حد كبير بالمجتمعات القديمة فالبيروقراطية والإنعزالية والذاتية لا تزال موجودة فينا، وعندما يكون زعماؤنا بيروقراطيين أو إنعزاليين فإن أفكارا عقلية طيبة من الشعب تقابل أذناً صماء وفي الفن عندما تكون الأفكار النظرية لعلم الإجتماع الفج هي السائدة فإن الإبداع الفني والإكتشاف لا بد أن يقابل بالسخرية والسخط.

إن سياسة الحزب حول المضمون الحر في الفنون والعلوم تؤدي من ناحية أخرى الى معاضدة وتطوير أشياء جديدة، تؤيد كل الأفكار الجديدة والإكتشافات والإبداعات والبحوث في الفنون والعلوم المفيدة للنمو الإجتماعي، كما انها تعبد الطريق أمامهم.

إن بعض الرفاق قد يرعبهم إحتمال ظهور بعض الأعشاب السامة – الآراء المثالية والبرجوازية الصغيرة. ولكن لا حاجة بهم لأن يكونوا متشائمين. إن ظهور أشياء ليست بالماركسية أو مضادة للماركسية سيؤدي فقط الى التصادم مع القوى الماركسية. وكلما إزدادت شدة هذا الصدام فإن النصر النهائي هو للماركسية بكل تأكيد. ألَم تتم إعادة البناء النظري لعشرات الألوف من مثقفينا بهذا الإسلوب بالضبط؟

اذا نظرنا الى المسألة من هذه الزاوية فمن الممكن أن يلاحظ ان الكلام بحرية هو لصالح واضعي المثالية من حيث المجموع. إن هذا لا يؤدي الى تقويم عملنا وفننا فحسب – بل سيخلصنا من دِعَّتَنا وخلودنا الى السكينة وتأخرنا ويعلمنا على العيش في جو من التقدم الحيوي والكفاحي.

وطبقاً لهذا فإن إتجاه نقدنا الأدبي الواجب الإتباع قد أصبح أكثر وضوحاً:

أولاً – إن التناقضات الموجودة بين الشعب وفي حيز الأدب والفن على حد سواء والقائمة بين التفكير البروليتاري وغير البروليتاري، والماركسي وغير الماركسي، أمر ممكن الحدوث. وإن هذه التناقضات لا يمكن حلها إلا بالبحث والنقد العقلي الخالي من التعصب، الذي يميز بين الخطأ والصواب والذي يَعتَبِر التقدم المتبادل كهدف له. لذا فمن الضروري أن نعارض أي نوع من النقد ينظر الى جهة واحدة مقابل جهة واحدة والذي يقابل ما وراء الطبيعة بما وراء الطبيعة والذي ينحدر الى الدوغمائية. إن ما نريده هو جو يواجه الحقائق التي تنجم عن البحث الجدي.

ثانياً – إن نقدنا يجب أن يكون دافعه الرغبة في كسب الشخص الذي ننتقده ويجب أن يُنتِج وحدة جديدة معه وعلى أسس جديدة بعد النقد. لذا فمن الضروري

إذن أن نقطع الموقف الإنعزالي السائد وأن نشجع جو المساعدة والتواضع وبحث الأمور بصورة عامة.

ثالثاً – بالنسبة لما يسمى الأعشاب السامة علينا ألا نمنع نموها كما إن علينا أن لا نعطيها فرصة مطلقة. بل علينا أن نسمح للورود العطرة والأعشاب السامة بأن تتنافس وأن تستعمل النقد الصداقي لإنتشال الشعب من الآراء الخاطئة. وعن طريق هذه المنافسة والمقارنة والكفاح تبرز المبادئ الماركسية والورود العطرة للأدب والفن الاشتراكيين بحيوية أشد وأقوى مما كانت عليه.

لا يمكن إجبار الشعب على تغيير وجهة نظره نحو العالم. ولكن تجربتنا ان الصراع الفكري الصحيح والتثقيف الذاتي والتهذيب النفسي يمكن أن يعمل في تحويل وجهة النظر المثالية للعالم أو تلك الأقسام ذات النظرة المثالية للعالم الى المادية. ولقد خبرنا كلنا هذا النوع من التجربة في الحركات الهادفة الى تهذيب المثقفين. لذا فعلينا أن نستفيد فائدة كبرى من هذه التجربة.

وفي عصر المضمون الحر فإن وظيفة النقد الأدبي تصبح أكثر أهمية لا أقل.

يتبنى الدوغمائيون دائماً موقفاً إنعزالياً، موقف النسف بدل الإقناع، والعنف بدل المعالجة العقلية وذلك في تناولهم المشاكل النظرية المعقدة القائمة ضمن صفوف الشعب. إن النقد العقائدي الجامد ليس مضراً بالوحدة فقط – بل إنه ذو تأثير سيء على النقد الأدبي نفسه. إن تطبيقاً وطيداً لسياسة المضمون الحر سيؤدي بالضرورة الى تقليص النقد الساذج الخام. والى ترك النقد الدوغمائي الفارغ الذي لا هدف له، بدون ساق يقف عليها في العالم الأدبي. إن هذا التطبيق سيجبرنا على عدم إتخاذ أي موقف طائش نحو الآراء الخاطئة والمخاصمة والإستعاضة عن ذلك بنقد عميق مدروس مُقنِع يستند على بحث شامل وعمل شديد وتفكير رصين، وإن تبني النظرية خطوة بعد أخرى خلال نقدنا الكفاحي وبهذا يرتفع مستوى نقدنا الأدبي الى حد كبير.

إن تخليص أنفسنا من قيود الدوغمائية وتصفية التحزب الإنعزالي سيكون ذا نفع لإبداعنا ونقدنا الأدبي والى وحدة أدبنا على حد سواء.

إن بناء صرح ثقافتنا الاشتراكية واجب كبير ومعقد. فهو يحتاج الى التعبئة التامة لكل العناصر الإيجابية التي يمكن أن تُقَدِّم المساعدة. ليتقدم كل شخص ويساهم في التخطيط ولنحمل جميعاً الطابوق ونقلب الأرض. إن الغرض من سياسة المضمون الحر هو بالضبط تعبئة كل القوى الإيجابية بين المثقفين للنضال في سبيل بناء الثقافة الاشتراكية، وفي الوقت الذي يعاون بعضنا البعض عن طريق النقد والكفاح لضمان الوحدة والتقدم المشترك.

لقد رَفَعَ المضمون الحر في الفن والعلم أعلى درجات الحماس بين مثقفي بلادنا كما رفع مستواهم النظري، إن مداً عالياً جديداً من الثقافة الاشتراكية يرتفع أمامنا. وإننا سنزيح بكل تأكيد أي عائق يقف في سبيل تنفيذ هذه السياسة وسنكافح للحصول على مستويات جديدة عالية للأدب والفن الاشتراكيين.

الكتابة حول التناقضات

بقلم: شانغ – تيين – لي

أرغب أن أثير مسألة كيف ينبغي أن يُعَبَّر عن التناقضات التي بين الشعب في أعمالنا الأدبية. إني أعتقد بأن الكتابة هذه لا يزال شيئاً جديداً بالنسبة لنا.

لقد ظهرت الآن بعض أعمال ذات أهمية لا بأس بها وموضوعها هذه التناقضات مثل (قرب موقع تشييد الجسر) و (الإستخبارات الداخلية لجريدتنا) لليو – بن – ين و (القادم الجديد في دائرة التنظيم) لوانغ – منغ. وقد أثارت هذه الأعمال إهتماماً وجدلاً كبيرين وخاصة بالنسبة لِمُؤَلَف وانغ – منغ.

وفي بعض الأحيان قد يُقابَل عمل برد فعل مختلف بل حتى متعارض من قبل القراء ولقد خبرت أنا نفسي هذا. فمثلاً إن إحدى شخصيات القصة قد يحبها بعض القرّاء حباً شديداً ويدعون إنها يجب أن تكون مثالاً للشباب في حين إنها تحظى بنفس الوقت بكراهية وعدم تأييد الآخرين الذين قد يقولون إنها شخصية برجوازية صغيرة وقد تُدهِش بعض هذه الآراء المؤلف.

ما هو سبب إختلاف هذه الآراء إختلافاً واسعاً؟

لقد إعتَدتُ أن أفَكِّر إن هذا هو بسبب ان قرّاءنا يضمون كل أنواع الشعب من مختلف الطبقات والمراتب بما لديهم من إختلافات حتمية في وجهات النظر والمصلحة والفهم. وأكثر من هذا إذا نُشِرَ عمل ما في وقت تكون أفكار عامة القراء فيه في حالة تبدل وإنصهار، وعندما تكون التناقضات بين مختلف الآراء قد وصلت حدها وأصبحت تتصارع وعندما نقف على عتبة تطور جديد في عالمنا العقلي فإن التناقضات في عقول القرّاء لا يمكن إلا أن تنعكس في إسلوب تناولهم للعمل.

من الطبيعي إن هذا هو الموضوع الواقعي بقدر ما يهم القرّاء. وهناك جانب آخر لهذا. ماذا عن الكُتّاب؟

إننا نقول للقراء: أنا متأسف ولكن ما حصلتم عليه كان خاطئاً فأنا لم أقصد إظهاره مطلقاً بهذا الشكل ولكن قرّاءنا سيردون: إننا لا نهتم بما عليه فكرتك الأساسية. إن ما يدخل في حسابنا هو ما كَتَبتَ.

صحيح ان القرّاء بآرائهم وعواطفهم المختلفة ينظرون بأعين مختلفة لحوادث الحياة. ولكن قضية الموضوع التي تصفها أقلامنا لم تعد شيئاً يُؤخَذ بشكله البدائي من الحياة. لقد أنفق الكاتب جهوداً عقلية وعاطفية في جمع وتلخيص وإلتقاط مواده التي يجسدها بإسلوب تناوِلَه وموقفه الذي يقصد الى نقله للقراء وبذا يؤثر عليهم ويثقفهم. ومن الطبيعي أن سيكون هناك بعض القُرّاء الذين يتحددون بمدى معرفتهم للحياة يختلفون الى حد كبير في مدى عمق تفهمهم أو ربما سوء فهمهم الكامل أو لمجرد إخفاقهم في فهم المُؤَلِّف. ولكن القارئ العادي على ما أعتقد سيكون قادراً على تتبع الكاتب في إسلوب معالجته الأساسي للشخصيات والأشياء التي يصفها. وعلى هذا فسوف لا تكون هناك إختلافات أساسية، أو تناقضات في هذا المضمار. فإذا وُجِدَت فعلينا إذن أن نفحص أنفسنا: أليس من المحتمل أن توجد تناقضات في معالجتنا وإتجاهاتنا؟ فإذا كُنتُ في حالة صراع عندما دَرَستُ شخصية ما وربما لم أكن عالماً بالتناقض، أو ربما شعرتُ بأني لم أستطع التفكير جيداً أو إنني لم أكن واضحاً حول الأشياء المصيبة والأشياء الخاطئة، الأشياء المرغوب فيها وغير المرغوب فيها، أو إنني لم أكن مصيباً في تقدير درجة الخطأ والصواب المضبوطة الخ ... فمن الأمور الحتمية جداً ان القُرّاء سيكون لديهم ردود فعل مختلفة ومتعارضة.

إن هذا هو الذي يدفعني الى إثارة بعض النقاط لمعرفة ما إذا كانت هذه المسائل حقيقية وما إذا كُنتُ قد وضعتها في صورة صحيحة.

الأولى – أين يقف الكاتب عند معالجته النواقص القائمة بين أفراد الشعب؟ من أية زاوية عليه أن يتكلم وماذا يجب أن يكون موقفه منها؟

في موضوع كهذا، فان ما يحبه الكاتب وما لا يحبه، ما يؤيده وما لا يؤيده يلعب دوراً أشد تعقيداً من الكتابة حول التناقضات التي بيننا وبين العدو. قبل التحرير

عندما كنا نكتب لفضح العدو كان الخطأ والصواب، الحب والحقد، أموراً واضحة جداً لنا. كان الكاتب يقف مع الشعب وكان هذا يجعل من السهل معالجة الموضوع. أما الآن فقد أصبح الموضوع معالجة التناقضات الموجودة بين الشعب فهناك أكثر من طبقة بين الشعب. وهناك بين المراتب والطبقات الإجتماعية بعض العلاقات ذات المفعول الداخلي المتشابك وإننا بإنغمارنا في هذه العلاقات لم تعد مسألة المحل الذي نقف فيه مسألة بسيطة بل أصبحت أكثر تعقيداً.

ومع ذلك فإننا نقف في مكان ما وحتى إذا كان ما كتبته قد أخذ من الحياة الواقعية وكان يصف الناس الحقيقيين وكل ما أعمله هو أن أنقل ما رأيته فأنا لا أزال أقف في مكان ما ألاحظ الأشياء من زاوية معينة وأتبنى موقفاً معيناً سواء كنت شاعراً بكل هذا أم لا. وأحياناً قد أصبح بدون أن أشعر - مهتماً ومرتبطاً بمظهر ما من مظاهر الحياة أو أصبح متحزباً لأشياء معينة. وقد أتذبذب أحياناً بين مواقف مختلفة بحيث يكون الموقف الذي أقف فيه غير مؤكد أيضاً. وإن هذا سبب آخر يُظهِر لنا لماذا ينبغي أن نواجه المسألة بجد. إذن فمن الطبيعي هناك مسألة الأبعاد والعمق والدرجة لحبنا وكراهيتنا. إن هذا لا يمكن حله إلا إذا إستطعنا أن نوضح النقيض.

ثانياً – قضية أي مظهر من مظاهر الحياة يجب على الكاتب أن يلاحظه وماذا يكتب عنه.

إن قطعة من الكتابة وخاصة ما كان منها قصير لا يمكن أن تُعالِج بالطبع كل مظاهر الحياة ولكن عندما نخرج «لنختبر الحياة» فإننا غالباً ما ننظر الى كل ناحية ونحاول أن نحصل على وجهة نظر شاملة. إننا بكل تأكيد لا نستطيع أن نكتب عندما نرى جانباً صغيراً من الكل فقط. إن الكاتب الذي يطلع على الحياة من كل نواحيها يرى التناقض والصراع بين المتقدم والمتخلف كما يتعلم كيف يجب أن تحل التناقضات. وحتى إذا فَضَحَ المتخلف وخصَّص بضعة أسطر أو لم يخصِص شيئاً لعرض الصور الإيجابية فإني أعتقد بأن كتابته ستبرز وهي مختلفة إختلافاً جوهرياً عن عمل كاتب لا ينظر الى النواحي المتأخرة ويخفق في رؤية الجانب التقدمي. وسيبقى قادراً على إشعار القرّاء بأن هناك جانبين للأشياء.

إن نفس المسألة قائمة عند تصوير الأشخاص فإني قد أعرض جانباً واحداً للشخص ولكن على أن أراه من كل جانب فإذا نظرت الى جانب واحد منه فقط – دون أن أكلف نفسي مشقة البحث عما إذا كان هذا الجانب صحيحاً من حيث الأساس بالنسبة له أو مجرد تعبير عرضي لبعض المميزات ثم أدعي بأن وصفي وصف جوهري – وإذا أردت أن أحكم على شخص من هذه الناحية المنفردة فقط ثم أصفه، فإن كتابتي لا تكون مقنعة. ومع ذلك فإذا نظرنا الى عدة وجوه ولاحظنا عدة أشخاص ووجدنا ما هو أساسي في طبيعة الشخص وما هو أصل وتطور لهذه الطبيعة – إستطعنا أن نصور بعض البيروقراطيين النموذجيين بهذا الأسلوب وأن نفضح بجرأة جذورهم القديمة – فإذا إنتخبنا بهذا الإسلوب نكون قد عملنا شيئاً جيداً جداً.

عندما نكتب حول التناقضات الداخلية أعتقد بأننا يجب أن نعطي بعض الإلتفات الى رَد الفعل والى شعور قرائنا. قبل التحرير عندما كتبنا فاضحين الشرور قمنا بذلك على الأغلب بصورة جعلت قرّاءنا يتوصلون الى نتيجة أن الأشياء الشريرة ليست عرضية أو مؤقتة أو محلية وإنما هي نتاج حتمي لنظام الحكم السائد في ذلك الزمن فلِأجل القضاء على الآفة يجب قلب النظام الفاسد نفسه. وقد تم هذا الآن. ولكننا لا نزال حتى اليوم غير قادرين على تجنب بعض النواقص والضعف الكامن في نفوسنا ولكن ما دام النظام قد أصبح غير ما كان عليه فإن المسألة قد أصبحت غير ما كانت عليه تماماً. إن التقصيرات كالبيروقراطية أمر خطير في الواقع وهي أمر مزعج حقاً ولكنها مع ذلك ليست سوى نقاط تأخر فقط في جدول حياة متصاعدة لذا فإنها يمكن أن تحل بين الشعب أنفسهم. إن قوانين التطور لمجتمعنا وقد أصبحت على ما هي عليه لا تفسح لنا مجال الخوف من وجود تأخر في وسطنا ولا ينبغي لنا أن نفكر بأن أخذنا الجانبين المتقدم والمتخلف في حسابنا خطأ من أخطاء الإصلاحية والقولبة. إننا ضد الإصلاحية والقولبة ولكن هذا لا يعني إننا يجب أن نغمض أعيننا عن قوانين تطور المجتمع. وفي الواقع فإن فهماً حقيقياً لقوانين التطور الإجتماعي على ما أعتقد هو وصفة طبية جيدة لشفاء الإصلاحية والقولبة.

ولا يزال هناك عدد محترم من المسائل حول كيف يجب أن تُعكَس التناقضات التي بين الشعب في الأدب.

ليس في فكري سوى القليل وقد أثرته على أمل التوضيح والحل.

ولحل هذه المسائل علينا طبعاً أن نتعلم بجد وكد. علينا أن ندرس النظرية، وما هو أكثر أهمية من ذلك، علينا أن ندرس الحياة الواقعية حتى يمكن أن نتعلم حل التناقضات بين الشعب بإنجازه عملياً. وعلينا طبعاً أن نتعلم أيضاً كيفية الكتابة. ولا حاجة الى القول بأن إنتاجنا سيظهر ساذجاً في بادئ الأمر وسيضم تقصيرات، ولكننا نأمل بأن الإنتقادات الطيبة ستُقَدَّم، وأن عملنا سيغذى ويربى.

[عن جريدة الشعب اليومية 19 آذار 1957]

كاتب يتحدث عن الكتابة ...[13]

بقلم: لاوشيه[14]

لقد سمع جميع الناس بشعارنا: «لتتفتح مئة زهرة». والمقصود منه أن يقود فن الصين وأدبها الى التقدم والنمو التام، وأن يقوي الأصالة والإبداع. وقد مضت سنة ونصف منذ أعلن الحزب الشيوعي هذه السياسة، وبدأ أثرها الطيب ناجزاً. مضى الكُتّاب بتناول المواضيع ذات المدى الأوسع. وبالإضافة الى البناء الاشتراكي في المجالات المختلفة، أخذ الكُتّاب يعنون بالحياة والحب في الصين المعاصرة، وبالأحداث التاريخية الماضية. إن الأشكال المستخدمة اليوم، والشِباك التي تمدنا بالمواد الأولية هي أيضاً أكثر تنوعاً، كما ان فردية الإسلوب قد نالت نصيبها من الملاحظة، وصار المضمون أكثر غنى وأقوى إثارة للأفكار.

– الشباب والشيوخ –

لا يزال الكُتّاب الشبان ينتجون أغلب الآثار. إنهم منتشرون في أجزاء البلاد كلها. وبالإنغمار في النضالات والمهمات اليومية لبناء الاشتراكية في الصين، هم يكونون التيار الرئيسي في الحياة. لكن مقدرتهم الأدبية تعاني نقصاً في بعض الأحيان، ولغتهم غير صقيلة. إلا أن قصصهم وقصائدهم تمتلئ بشعور بض جديد، وبإمكاننا جميعاً أن نحس رياح العصر الجديد والصفات الروحية التي يوجدونها، سواء كانت شخصياتهم التي يصورنها فلاحين أن عمال بناء، جنوداً أم أصحاب مهن أو جماهير عامة إعتيادية.

وجمهرة الكُتّاب الأكبر سناً تواصل الكتابة بكثرة أيضاً. لقد إنتزع الكثيرون أقلامهم، التي سكنت لمدة طويلة، وأخذوا يصفون الأشياء التي شاهدوها وجربوها، بشكلهم المألوف وإسلوبهم الخاص. وربما بدت بعض مؤلفاتهم ذات نمط قديم الآن،

13- من مجلة (الصين تُبنى من جديد) – مجلة 6 عدد 11 تشرين ثانٍ 1957.

14- لاوشيه: روائي ومسرحي معروف، وهو أحد كُتّاب الصين الأكثر إنتاجاً ودربة. وقد تُرجِمَت روايته (ريشكاو بوي) الى عدة لغات أجنبية. وهو الآن الرئيس الأعلى لإتحاد كتّاب الصين ونائب في المجلس الوطني.

إلا أنهم يعرفون كيفية إستعمال اللغـة، ويعبرون عن نفوسـهم بإيجـاز. وذلـك شـيء يحسن بكثير من الشبان أن يتعلموه بشكل مفيد. ومن بين الكُتّاب المحنكين شانغ هين – شوي، الروائي والصـحفي الـذي يربـو علـى الثالثـة والسـتين، وقـد كتب أكـثر من 130 مُؤَلَفاً روائياً بالشـكل التقليـدي، ولم يطبـع شـيئاً خلال ثمـاني سـنوات، إلا انـه يعمل الآن في رواية هجائية ذات 300 ألف كلمة، في التاريخ المعاصر، وقد دعاها «المخبرون الصحفيون»، وهي تصـور ملاحظاتـه على الموقـف في عـالم الصـحافة الصينية بين 1919 – 1933.

إنني أعتقد انه شيء حسن أن تستمر الكتابة على الأشكال القديمـة فهـذه الأشـكال لا يزال لها أساس متين، ولا يزال بعض القرّاء يفضلونها. وللمواضيع القديمة أيضـاً ميزتهـا الخاصة. وإذا عـاش كـاتب جل حياتـه في المجتمـع القـديم، فلن يسـتطيع إلا الكتابة عن آلام هذا المجتمع ومشقاته. لكن شبابنا الذين نموا بعد التحريـر، جـديرون بالحصول على ثمار نضالات آبائهم بكل تأكيد، إلا إنهم ينسون، في بعض الأحيـان، وجوب العمل الشاق وعدم تبديد أي شيء، بصفتهم بناة الاشتراكية. ولا طريق آخـر هنـاك يمكنهم من تحويـل بلادنـا من الفقـر الى الغـنى، ومن التخلـف الى التقـدم. إن مكاسب الماضي الزاهية الحقيقية، تثيرهم وتثقفهم أيضاً.

جو الصـين الجديـدة مُحَرِّك عظيم للخلـق الأدبي، حـتى أن بعض الكبـار ممن لم يكتبوا قبلاً أبداً، أخذوا يجربون الآن أقلامهم في مجـال الخلـق الأدبي. وقـد طبـع لـي لوي – جو البالغ من العمر 70 عامـاً، ومسـاعد رئيس القضـاة في محكمـة الصـين العليا، الجزء الأول من رواية تاريخية تقع في ثلاثة أجـزاء وعنوانهـا «سـتون سـنة متبدلة» تبدأ القصة في 1887 لتصور كيف غدا إبن أحد التجار الإقطاعيين ثورياً. إنهـا منظـر شـامل للشخصـيات المتباينـة، وللتغيـيرات الـتي حصـلت في المجتمـع الصيني خلال فترة طويلة حاسمة من تاريخنا. والسيد لي يقـدر إكمـال الروايـة كلهـا في ثلاث سنوات. إنه لعمـل بـاهر، كمـا أعتقـد، لهـذا الرجـل المحنـك ذي الواجبـات الرسمية الكثيرة.

ولا يستطيع أحد إلا أن يفرح للعدد الكبير من الكتاب الذين يعملون في قواتنا المسلحة. إن أغلب المشتركين في المجموعة الخاصة «ثلاثون عاماً من حياة جيش التحرير الشعبي»، قد نالوا رتباً عالية الآن أو سرحوا الى الوضائف المدنية. وقصصهم مثيرة جداً، لأنها كتبت من التجارب الشخصية في الحروب المتواصلة للدفاع عن الثورة والأمة. وان لها فائدة عظيمة، كأدب وتاريخ معاً.

وكثير من الكُتّاب البارعين ينشرون في المجلات الأدبية العديدة التي تظهر الآن. وبعض هذه المجلات تمنح كل صفحاتها للكتاب الجدد والشبان.

– فهم الجديد –

أما بالنسبة إلي، فقد وجدت أيضاً ان سياسة «لتتفتح مئة زهرة» مشجعة بشكل عظيم. ومع إنني قد كتبت أشياء كثيرة قبل إعلانها، فإنني إندفعت، كالكُتّاب الآخرين، بحماسة حياة بلادنا الجديدة النابضة، وسرعتها التي تتقدم فيها الى الأمام. وإنني لمتلهف للقيام بدوري، وقد ركزت جهودي على التمثيليات التي تهتم بأحداث الساعة. وعندما أخبرني الناس عن مقدار تأثرهم بالمآسي التي كتبتها، وعن مبلغ سرورهم بهزلياتي الإجتماعية، شعرت بالرضا العظيم. ولكنني، من ناحية أخرى، لم أكن راضياً تماماً عن هذه الأعمال الأدبية. فأنا أعتقد ان لي إسلوباً خاصاً، لم يبرز جلياً في هذه الأعمال. والسبب، على ما أظن، هو تناولي لأحداث جديدة لم أعرفها جيداً وبشكل عميق.

في مجتمع كمجتمع الصين مليء بالتغير السريع، يغلب التخلف على الكاتب. فإذا لم يكن لرواياتي من الحياة المقدار الذي أردته لها، فذلك راجع الى إنني لم أحظ بالتأمل الكافي المركز على الحياة الجديدة نفسها. ولن يلازم على هذا النقص أحد غيري. وأصل هذا النقص هو في فهمي العام المحدود للأحداث الجارية حولي.

– الشكل والمضمون –

أنهيت مؤخراً مسرحية بعنوان «المقهى» طبعَت في «الحصاد»، المجلة نصف الشهرية الجديدة. وفصولها الثلاثة كلها تَحدُث في محل واحد، لكن في فترات تاريخية مختلفة. يعود بنا الفصل الأول الى سنة 1898، إذ إنتهت الى الفشل

المحاولـة الأولى في الصـين للإصـلاح السياسـي الحـديث تحت قيـادة الإمـبراطور كوانـغ هسو. ويحـدث الفصـل الثـاني بعـد عشـرين سـنة، حين كـان تجـار الحـروب البائعين نفوسهم للإستعمار يحاربون للإستيلاء على البلاد. ويعود بنا الفصـل الثـالث الى العهـد القـريب جـداً، بعـد نهايـة الحـرب العالميـة الثانيـة، إذ كـانت بكين تفيض بعملاء المومينتانغ وبحـارة الولايـات المتحـدة، لكنمـا تحت السـطح كـان بإمكاننـا أن نحس المد الثوري الصاعد. وفي المشـاهد الثلاثـة كلهـا، كـان الجـو مثقلاً بالأحـداث العظيمة، إلا إننا لا نراها بشكل مباشر. كنا نحسها فقط من خلال دويها وصـداها في المقهى القديم.

ولا تزال هذه المواضع المتلاشية بأناسها زاهية متألقة في مخيلتي. وعندما بَدَأتُ بتصـويرها وجَدتُ انـني أسـترد «إسـلوبي الخـاص»، وانـني أسـتطيع الكتابـة بهـذا الإسلوب بسهولة أكبر. وقد أظهر لي هذا، مرة أخرى، أهمية فهم الأفكار والأحـداث بشكل مناسب. إنني لا أزال في ماضي وطني أكـثر مـني في حاضـره. ويتطلب فهم الحاضـر مـني شـيئين: أحـدهما: فهم الصـورة السياسـية العامـة وإتجـاه تطورنـا الإجتماعي. والآخر: هو العيش بين الناس والتعلم من الحيـاة الواقعية. وإنـني لأبـذل جهـودي لإنجـاز الأمـرين معـاً، حـتى أتمكن من تصـوير الحاضـر بـإمتلاء وطلاقـة الماضي.

ــ مهمات رئيسية ــ

لا تزال الصين متخلفة في الثقافة والتعليم العام. وهي تتقدم بخطـوات واسـعة في هذين المجالين متأثرة بتطـور إقتصـادنا. وعلينـا، نحن الكتـاب، واجب إنتـاج المزيـد والأفضل من الكتب والتمثيليـات والأشـعار والقصـص الـتي تلـبي حاجـات الشـعب. علينا أن نُحَسِّن مجال الأدب ومهمته في الوقت نفسه.

أما في أي شيء نبدأ، فأنا أعتقد ان كـل مـا يسـاعدنا في بنـاء وإغنـاء حياتنـا هـو جدير بالكتابة عنه. لقد تقدم أدبنا في السنوات الثمان هذه. خَلَّص نفسـه من العناصـر المنحطة الفاسدة، غير الشـعبية، تلـك العناصـر الـتي لا يحتملهـا أي شـعب يحـارب،

واثقاً، من أجل حياة أفضل. والملاحظة التي تدوي الآن هي جدية وسليمة. إنها تكافح لتعطي إنعكاساً حقيقياً لحياة الناس العاملين وتلهمهم تقدماً أكبر.

إن الروايات التي كتبها روائيون مشهورين بحق، مثل شاو لي – بو، وشاو شو – لي، قد أثارت القرّاء الصينيين ونالت الإستحسان في الخارج. إنهم يوضحون، في سلسلة من الحوادث والأشخاص، من الأفكار والعواطف، كيف نتحرك نحن بإتجاه الاشتراكية. يصف شاو لي – بو نضالات الفلاحين المُرَّة لإصلاح الأرض في رواية «زوبعة»، ويقودنا بين العاملين في صناعتنا في «فولاذ منصهر». ويقص لنا شاو شو لي، بروح مرحة، في روايته «قرية سانليوان»، كيف غيرت الحركة التعاونية وجه الريف.

إن الإنجازات الأولية لأدبنا الجديد قد أوضحت أكثر القضايا أهمية. وهي: من يجب أن يَخدِم الكاتب بكتابته؟ – ونحن نعتقد وجوب خدمة العمال والفلاحين والجنود. إنهم الأكثرية الواسعة لأولئك الذين يبنون الاشتراكية ويدافعون عنها. فَمَن يجب أن نخدم أيضاً؟ أ يجب أن نبحث عن القرّاء بين ملّاك الأرض والطبقات الرأسمالية ونبرز وجهة نظرهم، أولئك الذين قهروا في بلادنا في الماضي؟

لكن هذا كله، لا يعني طبعاً، وجوب الكتابة فقط عن العمال والفلاحين والجنود. يجب أن يتخذ الأدب جانب الشعب العامل ووجهة نظره، لكنه يستطيع الإهتمام أيضاً بكل الأشياء التي يعرفها الكاتب أو يرغب فيها. لقد إتخذ الكاتب المسرحي تساويو من عالِم رفيع الشأن بطلاً لتمثيليته «السماء المتألقة». وأنا شخصياً قد كتبت في «إزدهار الربيع وثمرة الخريف» عن الرأسماليين. إلا اننا، كلانا، أوجدنا شخوصنا، لا بالشكل الجامد الذي أُليفوا فيه، بل في عملية تغييرهم لنفوسهم ليلعبوا دورهم في الاشتراكية.

والاشتراكية جديدة بالنسبة إلينا جميعاً، ولهذا تصعب الكتابة عنها. ولنفترض اننا نريد تصوير بطل حاضرنا الحالي، فلن يكون فردياً في أفكاره وسلوكه بل اشتراكيا. وقد يكون عاملاً أو فلاحاً أو جندياً أو مثقفاً، إلا ان المجتمع الجديد هو الذي صاغه، وتطوره الشخصي قد جاء مع مساهمته في التقدم العام، وان أخلاقه لجديدة. ومثل

هؤلاء الناس لم يكونوا موجودين في المجتمع القديم، وليس للكُتّاب خبرات متراكمة عنهم، وقد كان أمامهم وقت قصير جداً ليعرفوهم في الحاضر. والنتيجة، هي إننا عندما نحاول خلق أبطال كهؤلاء، فغالباً ما يخرجون كتصورات مخلوقة ومجهزة بكل الصفات المفروضة، لكن بلا جوهر أو روح.

كيف يمكننا التخلص من هذا الميل المعيب الى الكتابة وفق قاعدة لنطابق تصوراً مجرداً؟ يجب أولاً أن نغور الى جذوره. إنه ينمو لأن الكاتب يتناول موضوعه من منظار التعميمات المُتَلَقَّنَة بشكل سريع من تقارير السياسة أو نظريتها. وقد يعكس هذا حماسة سياسية، لكنه لا يستطيع تحقيق ذلك إلا بأن يكون أدباً حقيقياً، فنياً وقوياً ومخلصاً للحياة.

ليس الكُتّاب الكبار فقط من لديهم صعوبات، فالكُتّاب الشبان الذين هم في قلب الحياة التي يصفون، يُنتِجون في الغالب أيضاً تعميمات مبتذلة. ويأتي فشلهم من عدم كفاية الملاحظة النفاذة أو من نقص المهارة الأدبية. لقد كنا نحارب هذا النوع من الجمود العقائدي الذي شمل الكتابة بضع سنين. إن نداء الحزب الشيوعي: «لتتفتح مئة زهرة» قُصِدَ فيه الى تشجيع الكُتّاب على الملاحظة والتفكير بإستقلال، مع تطوير إسلوبهم الخاص، بالإضافة الى مساعدتهم على تحرير نفوسهم من قيود القاعدة والتصفيح.

ـ فِهم السياسة ـ

ليس كل الكُتّاب، وأقولها صريحاً، قد أدركوا الفائدة التي عادت بها «المئة زهرة» عليهم. وفي بداية هذه السنة أبدى أربعة كُتّاب معروفين قلقهم مما أعتبروه نتيجة لها. وخوفاً من إتهامهم بالتصورية أو بالكتابة وفق قاعدة، شَكَوا انه «لم يعد الكتاب يجرئون على الكتابة عما يَعكِس حقاً، النضالات السياسية الحالية، وان كمية من قصص الحياة العائلية والحب والمغامرة لا تزال تنتزع روح النضال من فننا وأدبنا وان عظمة بنائنا الاشتراكي تتألق ولكن بخفوت».

وقد إنتقد أشخاص قادة في الحزب الشيوعي وكذلك الرأي الأدبي العام هذه الأقوال بصفتها نذيراً تَوَلَّد من نظرة عقائدية جامدة يسارية. وقد أنتُقِدَ الأربعة

لتناولهم «المئة زهرة» بهلع وبسلبية لأنهم فشلوا في رؤية الشيء الرئيسي، وهو المدى الذي منحته للكُتّاب والفنانين لإستخدام كل أشكال ومجالات موهبتهم لبناء ثقافة الصين الجديدة، وحتى الثمار التي رأوها بصفتهم السلبية، كما ذكرنا، لها وجه آخر إنها تتيح الفرصة لمناقشة وتحليلات عامة تزين آراء كل شخص فيما هو جيد وما هو رديء. وأخيراً أقرَّ الأربعة بأنهم كانوا ضيقي النظر، أحاديي الجانب. هكذا يُتَوَصَل الى الحقيقة في الصين اليوم، بالمناقشة المفتوحة التي تثقف المساهمين فيها والجمهور معاً.

ومثل آخر على هذا، المنشور الحاد الذي ظهر حول «عضو جديد في إدارة التنظيم» وهي قصة قصيرة لكاتب عمره 22 سنة يدعى وانغ مينغ والقصة تدور حول مدرس شاب يُنقَل للعمل في لجنة الحزب الشيوعي في إحدى مقاطعات بكين المدنية، وعلى عكس ما كان يتوقع في محل كهذا، يجد رئيسيه الإثنين المباشرين بيروقراطيين، وغير مدركَين لإنحرافاتهما في عملهما، وإنهما جافيان أصلاً. يُصدَم ويقرر بِمالَهُ من غيرة شابة على محاربتهما، لكنه لا يجهد حتى ينتصر بشكل تام، ومع التلميح بانه سيثير المعركة مرة أخرى، إلا ان الملاحظة توحي بنوع من القنوط واليأس.

وقد إعتَبَرَ القرّاء الأكثر عقائدية هذه القصة «فرية على الحزب» بينما ضم القرّاء الأكثر ليبرالية بطلها الشاب الى قلوبهم، وتبع ذلك مناقشة بين نقاد بارزين، كانت حصيلة آرائهم مختلفة عن ردود الفعل العنيفة تلك. وقد إنتهوا الى ان الكاتب الشاب يُهَنّأ على تسديد حربة أدبه نحو البيروقراطية الطاغية على بعض تشكيلات الحزب. وهو أمر يستحق المديح. وهذه التعريضات، شريطة أن تحرك الشعب الى نضال ثابت مُصَمَم لإصلاح الخطأ، ذات نفع كبير للمصلحة العامة. لكننا نأتي هنا الى ضعف القصة. إن لبطلها صفات جميلة: الشرف، والقلب الدافئ وعدم إحتمال الخطأ. لكنه أظهر نفسه، أساساً كفرد برجوازي صغير. وكعديم البصر بصفات الشعب وقوته حواليه، يدخل المعركة كلها منفرداً. وهذا هو سبب إرتباكه وإنقباضه عندما وقف في وجه العراقيل. وأولئك الذين لم يروا هذا الإنحراف، هم أنفسهم

متـأثرون بـالآراء البرجوازيـة الصـغيرة، وغـير سـائرين حقـاً، نحـو وجهـة النظـر الجماعية. هذا التحليل للقصة يوضح ماذا نعني عندما نقول بأن معركة الآراء عنـدنا لها جبهتان: ضد العقائدية اليسارية من ناحية، وضـد البرجوازيـة اليمينيـة من ناحيـة أخرى. وكلتا هاتين النظريتين لا تنسجمان مع بناء مجتمع اشتراكي جديد.

ــ النضال من أجل الاشتراكية ــ

إننا نحارب في الوقت الحاضر «اليمينـيين» في الحقلين السياسـي والثقـافي معـاً. لقد وضعوا يدهم على الحركة التي أثارها الحزب نفسـه ضـد الجمـود العقائـدي لكي يحاولوا إنكار إنجازات الشعب العامل منذ التحرير. إنهم ضد سياسة الكتابة من أجل العمـال والفلاحين والجنـود، وقـد حـاولوا تقـويض قيـادة الحـزب الـتي تطبـق هـذه السياسة. إنهم يحـاربون كـل الإتجـاه الاشـتراكي لحياتنـا وثقافتنـا لأنـه يجـري ضـد مطامحهم الأنانية التي تصطدم بمصـالح الشـعب. إن النضـال ضـد إتجاهـات كهـذه، مـؤلم وصـلب، هـذه الإتجاهـات الموروثـة من كـل التـاريخ الماضـي للمجتمعـات الإسـتغلالية. ولا يمكن أن ننـال الاشـتراكية بـدون شـعب اشـتراكي وقيم جديـدة اشتراكية.

إن جهود اليمينيين عبث عقيم، لأن الوقائع كلها ضـدهم. إنـني كـاتب منـذ أربعين سـنة، وأنـا أعـرف كيـف عـاش الكُتّـاب والفنـانون تحت حكم الكومينتـانغ، وكيـف أضطُهِدَ الكُتّـاب التقـدميون وسُـجِنوا وقُتِلـوا، وكيـف كـان النشـر صـعباً، وكم كـانت الطبعات قليلة والمنح هزيلة. إما الآن فالكاتب يستطيع خدمة الشـعب بلا أي خـوف، بل على العكس مع كل عون. وفرص النشر وعدد الطبعات التي تظهـر فيهـا الآثـار الأدبيـة، هي أعظم كثـيراً جـداً. ولم يكن مركـز الكُتّـاب سياسـياً في يـوم مـا، بهـذا الإرتفاع أبداً. ولم يكن مركز الكُتّاب سياسياً في يـوم مـا، بهـذا الإرتفـاع أبـداً. هنـاك 46 كاتباً بين نواب مجلس الشعب الوطـني. ومـا كـان يحصـل، ولا كـان ممكنـاً أن يحصل شيء من هذا بغير تقدم أمتنا نحو الاشتراكية، وقيادة الحزب الشيوعي.

لقـد غـذَّت قيـادة الحـزب دائمـاً التطـور الأعظم لأدبنا. وقـد مُنِحَ الكُتّـاب أفضـل الظروف والتسهيلات. وهناك شيء واحد فقط يقدمونـه هم أنفسـهم، هـو الرغبـة في

الكتابة من أجل الشعب. هذا يعني نبذ إتجاهات الفردية البرجوازية، لكنه لا يعني نبذ الفردية، فللفردية هناك المجال أوسع. هذا هو المعنى «لتتفتح مئة زهرة»، السياسة الثابتة، بعيدة المدى. إن المناقشة مع اليمينيين لا تضرها، بل تضعها في مركز أفضل.

إننا نريد الوحدة في قضيتنا العامة الاشتراكية، لا النمطية في الخَلق الأدبي. إننا نريد ثقافة اشتراكية، ثقافة أكثر غنى، وأكثر تنوعاً ممكناً في المضمون والشكل معاً.

الفهرست

الموضوع — الصفحة[15]

مقدمة المترجم 5

خطاب لوُ تنغ – يي 6

1 – دواعي هذه السياسة وسبب تأكيدنا عليها 6

2 – تقوية الوحدة 16

3 – النقد والدراسة 22

4 – الملحق 31

الملاحق 34

1) «مقدمة» بقلم: ماو تون 36

2) «عارضوا التفكير العقائدي الجامد، والبرجوازي الصغير»

بقلم: ماو تون 37

3) «أجوبة على أسئلة مراسل (شنغهاي وين وي باو)»

بقلم: شو يانغ 43

4) «وجهات نظرنا حول الأدب والفن المعاصرين»

بقلم شين – شي – تنغ، شين – يا – تنغ، ما – هان – بنغ، لو – ليه 53

5) «بعض التعليقات حول وجهات نظر شين – شي – تنغ والآخرين»

بقلم: وين – لي – باون 57

6) «من أجل إزدهار الأدب والفن الاشتراكيين»

بقلم: وين – لي – باون 63

7) «الكتابة حول التناقضات»

بقلم: شانغ – تيين – لي 74

8) «كاتب يتحدث عن الكتابة» من مجلة (الصين تُبنى من جديد) – 1957

بقلم: لاوشيه 79

15- قام الناسخ الإلكتروني بتغيير أرقام الصفحات في هذا الفهرست بحيث تأتي متوافقة مع تسلسل صفحات هذه النسخة الرقمية. – ملاحظة الصوت الشيوعي.

مايس 1959

متعهد التوزيع: دار الأهالي – بغداد ثمن النسخة 100 فلس أو ما يعادلها
مطبعة العاني – بغداد